الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي بالوادي

معهد العلوم الإجتماعية والإنسانية قسم : التاريخ

الحيــاة الإجتماعية و الإقتصادية في إقليم وادي ريغ خلال القــرن 19 الميلادي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الليسانس في التاريخ

من إعداد الطالبتين:

? خيرة خليف

? مارية شاكو

إشراف الأستاذ:

* بالحاج ناصر

لجنة المناقشة : 1. أ / حسن معمري رئيسا

2. أ / بالحاج ناصر مشرفا ومقررا

3 . أ / أحمد بالعجال عضوا مناقشا

الموسم الجامعي :

﴿ 2012/2011 م- 1433/1432 هـ ﴾

﴿ وَ إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي
عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ
الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا
لِي وَ لْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ
يَرْشُدُونَ﴾ البقرة 186.

صدق الله العظيم

شكر وعرفان

الحمد والشكر كله لله الذي منّ علينا بنعمة العلم.

نتوجه باسم آيات الشكر والامتنان إلى كل من أعاننا على إخراج هذا البحث نخص بالذكر:

الأستاذ بالحاج ناصر الذي تفضل علينا بإشرافه على البحث بتوجهاته القيمة

والشكر لكل الأساتذة الذين ساهموا في تكويننا من المرحلـــة الابتدائية إلى الجامعية

والشكر إلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد خاصة قانة بلقـــاسم

وفي النهاية نسأل الله تعالى أن يتقبل منا هذا الجهد وينفع به كل من

شكرا .

خيرة ومارية

إن إحياء التراث التاريخي لمنطقة أو بلد أو قطر إسلامي، يعتبر مهمّة نبيلة، فالتاريخ ذاكرة للشعوب، وهو لا يدرس لذاته فقط، بل للاعتبار من تجارب السابقين. وكل أمة أهملت تاريخها، فقد حكمت على نفسها بأنها تعيش على هامش الحياة إن لم نقل بأنها معدومة تماما. كما أن الرجوع إلى تراث الأولين لا يعدّ تخلفا ورجعية، بل إرواء لجذور الأصالة وإحياء للشخصية العربية الإسلامية، ومن التراث المحلي العربي الإسلامي الجزائري نقف عند لمحة تاريخية لدراسة اجتماعية و اقتصادية لإقليم وادي ريغ، هذا الإقليم الذي شهد بحكم موقعه عدة تطورات خاصة في الجانب الاجتماعي والاقتصادي اللذان جعلا منها مركزا عمرانيا تشد إليها أجناس مختلفة وحدتهم العادات والتقاليد والأعراف، ونقطة عبور للقوافل التجارية والحجيج، وهو ما أكسبها ازدهارا اقتصاديا مميزا، ومكانة بارزة في محيطها.

أسباب اختيار الموضوع:

يأتي اختيار هذا الموضوع لإبراز مدى أهمية دراسة الحياة الاجتماعية والاقتصادية لمنطقة وادي ريغ، خاصة وأنها تفتقد لمثل هذه الدراسات التاريخية التي بالرغم من أنّ هناك بعض الرحالة الذين تحدثوا عنها، وكذا بعض المبادرات التي قامت بعملية مسح للتراث المحلي للمنطقة إلاّ أننا أردنا أن نواصل ما قدموه من دراسات لإبراز مادة تاريخية تستفيد منها الأجيال القادمة.

كما تهدف الدراسة كذلك إلى كسر حاجز الركود الثقافي و اللامبالاة بالتراث المحلي لمنطقة وادي ريغ، وكذلك إحياء تراث المنطقة خوفا من اندثاره لأنه في طريق الاضمحلال والانهيار، ولهذا كان يجب التنبيه إلى هذا المصير.

ومن أهدافنا كذلك إثراء المكتبة بمثل هذه الدراسات التي لم تتطرق إلى منطقة وادي ريغ ماعدا البعض منها التي قام بها بعض الرحالة، وإن كان يوجد هناك بعض

المواضيع التي تحدثت عن المنطقة لكن أغلبها في الجانب السياسي وفترة حكم بني جلاب، أما كدراسة اجتماعية واقتصادية فهذا نادرا أو يكاد ينعدم .

الإشكـــــــــالية:

يجيب البحث عن عدّة أسئلة تدور حول الإشكالية الرئيسية التالية: ما هي مظاهر ومميزات الحياة الاجتماعية والاقتصادية بوادي ريغ خلال القرن التاسع عشر ميلادي؟ وما هي أهم ملامح الحياة الفكرية والثقافية؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات اتبعنا الخطة التالية التي تشتمل على (فصل تمهيدي) وثلاثة فصول وخاتمة.

الفصل التمهيدي تناولنا فيه جزئيتين هما: أولا الإطار الجغرافي لإقليم وادي ريغ من موقع ومناخ، التضاريس، المياه والغطاء النباتي. ثانيا تطرقنا إلى لمحة تاريخية للإقليم. وبالنسبة للفصل الأول، الحياة الاجتماعية لإقليم وادي ريغ ، الذي تفرع عنه ثلاثة عناصر هي: أولا التركيبة البشرية للمنطقة على أساس أن إقليم وادي ريغ قد عرف عدة قبائل وأجناس عبر مراحله التاريخية، ثم توقفنا عند الطبقات الاجتماعية وكذا النظام الاجتماعي الذي كان سائد لدى الإقليم ومنه إلى بعض الصفات التي كان يتحلى بها سكان وادي ريغ، ثانيا العادات والتقاليد التي كان يتعارف عليها سكان وادي ريغ من حيث المأكل والملبس، الحفلات والطقوس الدينية مثل الزواج، الاحتفال بشهر رمضان وكذا الاحتفال بعيد عاشوراء والمولد النبوي الشريف وزيادة أضرحة الأولياء، وغيرها، بالإضافة إلى بعض العادات الأخرى مثل التويزة و المغارسة، التربية وغيرها، ثالثا البناء العمراني التقليدي والمحلي أما الفصل الثاني، الحياة الثقافية والعلمية للإقليم ، والذي تناولنا فيه كذلك ثلاثة عناصر نبتدئها بنظام التعليم من حيث مراحله وطريقته التعليمية ثانيا من أهم المساجد والمشايخ التي عرفتها المنطقة وأخيرا العقائد والعبادات وذلك من حيث أهم المذاهب التي شهدها الإقليم بالإضافة إلى الزوايا والطرق الصوفية كما تناول

الفصل الثالث، الحياة الاقتصادية ومن هذا العنوان خرجنا بثلاثة عناصر هي: أولا الزراعة و تمثلت في أهم المنتوجات والمحاصيل التي كانت تنتجها المنطقة، ثانيا الصناعة التقليدية أي الحرف المحلية التي عرفتها المنطقة مثل صناعة الفخار، النسيج، الغزل وغيرها، ثالثا وأخيرا التجارة والمتمثلة في المبادلات التجارية التي كانت تعتمد عليها المنطقة في اقتصادها من حيث الصادرات والواردات وكذا التجارة الداخلية والخارجية.

وفي الأخير خاتمة موضوعنا تضم نتائج شاملة لما تناولناه في هذه الدراسة ومدى أهمية وقيمة هذه الدراسة الاجتماعية والاقتصادية لتصبح كمرجع يعتمد عليه.

المصادر والمراجع :

من أهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في موضوع بحثنا هذا نذكر ما يلي: مخطوط للشيخ بن دومة محمد الطاهر (1918-1982م) بعنوان مذكرة أخبار تاريخية لواحة تقرت وبعض ضواحيها، فهذا المخطوط قد ساعدنا في كثير من الجوانب خاصة عندما نجد بعض المعلومات المتضاربة حول رواية ما مثل قضية تنازل محمد بن يحي الإدريسي على الحكم للجلابيين فهنا وقفنا عند عدة روايات ، لكن روايته كانت أقنع وأسلم على أساس يتقبلها العقل والمنطق. وكذا في الجانب الثقافي والتعليمي اعتمدنا عليه على أساس أنه كان من إحدى مشايخ المنطقة وفقهائها.

ومن المصادر أيضا: أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي (1037-1090هـ/1628-1679م) في كتاب ماء الموائد المشهور بالرحلة العياشية (1661-1662) هذا المؤلف يعد من الرحالة حيث قام برحلة سماها ماء الموائد تتضمن أخبار وحوادث مختلفة شاهدها أو سمعها ، وأهم ما فيها وصف طريق الصحراء و السكان والعوائد وأحوال المعاش والأمن وكذا العلماء والدين ... وما أفادنا به من هذه الرحلة هي الجزئية التي تحدث فيها عن الجنوب الجزائري في القرن 17، سياسيا واقتصاديا وثقافيا

لأن العياشي كان يحب في سفره إلى الحجاز(الحج) أن يأخذ طريق الصحراء شمال جنوب والشمال الشرقي هذا الأخير الذي تطرق فيه إلى الحديث عن ورقلة، تماسين، تقرت وسوف، عد إلى الملحق رقم(01)خريطة توضح خط سير رحلة العياشي، وكان يعلل سبب هذا الاختيار لهذه الطرق الصحراوية لتوفر الماء والكلاء وكثرة الواحات وهي أشياء أساسية للركب، فقد اعتمد العياشي في الجانب الثقافي لأنه تحدث عن المساجد و المشايخ والفقهاء، وفي الجانب الاقتصادي عن المنتوجات التي كانت المنطقة تعتمد عليها في المبادلات التجارية وأيضا حتى عن العملة .

وأيضا الحسن بن محمد الوزان الفاسي في كتابه وصف إفريقيا الذي استفدنا منه في الجانب الاجتماعي عندما تحدث عن بعض صفات سكان الإقليم وكذلك التخطيط العمراني وأما الحاج ابن الدين الأغواطي في كتابه رحلة الأغواطي...، اعتمدنا عليه في الجانب الاقتصادي لأنه تطرق إلى جانب الزراعة وأهم منتوجات المنطقة وأوقات الفلاحة.

كما اعتمدنا كذلك على بعض المقابلات من بينها مقابلة شخصية مع فطيمة عباس أفدتنا كذلك في الجانب الاقتصادي بالحديث عن الحرف التقليدية فهي كانت تمارس حرفة تصنيع السعف والجريد (الضفيرة) ولها شهادات في هذا المجال عرضناها في الملاحق عد إلى الملحق رقم(02).

أما المراجع فمن بينها كتاب عبد الحميد إبراهيم قادري من كتبه التعريف بوادي ريغ، (تقرت البهجة)التي تقريبا تحدث فيها عن جميع الجوانب لمنطقة وادي ريغ(تقرت) فأفادتنا في الجانبين معا الاجتماعي والاقتصادي، محمد العربي الزبيري في كتابه التجارة الخارجية للشرق الجزائري استفدنا منه من حيث المبادلات الخارجية، عبد القادر موهوبي في كتابه ومضات تاريخية و اجتماعية لمدن وادي ريغ و ميزاب ....، وآل البيت في الجزائر والعالم العربي الإسلامي، وكذا إبراهيم بن محمد الساسي العوامل في كتابه الصروف في تاريخ الصحراء وسوف اعتمدنا عليه في الحياة الثقافية، ناصر الدين

سعيدوني في كتابه ورقات جزائرية ... من حيث الجانب الاقتصادي (الزراعة،الصناعة،التجارة). وكذا هناك بعض الملتقيات مثل الملتقى التاريخي الثالث حول فترة حكم بني جلاب لبعض الأساتذة من بينهم يمينه حضري الحياة الاقتصادية بمنطقة وادي ريغ، عبد الجواد محمد الطاهر، تقرت عاصمة وادي ريغ، وأيضا الملتقى الوطني حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين (12م-13هـ/18-19م) من خلال المصادر المحلية لكل من رضوان شافو، الحياة الاجتماعية بوادي ريغ من خلال مخطوط ري الغليل ....، والسعيد عقبة الزاوية التجانية بتماسين ودورها الاجتماعي،وكذا مذكرة معاد عمراني أسرة بني جلاب في منطقة وادي ريغ خلال القرنين 19ـ20ميلادي دراسة سياسية واجتماعية، أما بالنسبة إلى المراجع الأجنبية المعربة لدينا هاينريش فون مالتسان، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، وكذا شارل فيرو، ملاحظات تاريخية حول مقاطعة قسنطينة ، بنو جلاب سلاطين تقرت جاءت في مقلات نشرتها المجلة الإفريقية في الأعداد من 23 إلى 31.

المنهج المتبع في الدراسة:

اتبعنا خلال دراستنا للحياة الاجتماعية والاقتصادية لإقليم وادي ريغ المنهج التاريخي السردي الوصفي على أساس أننا نسرد حقائق كانت موجودة بالمنطقة ويتخلله وصف لبعض الجوانب مثل البناء العمراني وكذا بعض العادات والتقاليد مثل الزواج .....إلخ.

أما الصعوبات التي واجهتنا في هذا الموضوع فهي قلة المادة العلمية على أساس أنه موضوع محلي وأغلبها أجنبية والتي واجهنا فيها صعوبة من حيث الترجمة، وكذا بعض التناقضات في بعض المعلومات خاصة الروايات الشفهية. وأيضا صعوبة الحوار مع كبار السن في المقابلات الشخصية.

لعب إقليم وادي ريغ دورا فعالا في جميع الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية الحضارية في الصحراء الجزائرية وذلك بسبب الموقع الجغرافي الهام الذي يحتله، وقبل التعرض إلى دراسة الحياة الاجتماعية والاقتصادية لهذا الإقليم خلال القرن 19م لابد من تقديم لمحة جغرافية و تاريخية للمنطقة.

1/الإطار الجغرافي لإقليم وادي ريغ:

1ـ1/الموقع:

يحتل إقليم وادي ريغ موقعا إستراتيجيا في الشمال الشرقي للصحراء الجزائرية في منخفض مستطيل الشكل[1]، طوله حوالي 160كلم، ويتراوح عرضه بين 30و40كلم، يبتدئ شمالا من عين الصفراء قرب بلدة أم الطيور وينتهي جنوبا بقرية قوق[2]. ويحد الإقليم من الشمال الجنوب الغربي لشط ملغيغ[3].

---

[1] خمرية بن موسى و خديجة صافية،**دور منطقة وادي ريغ في الثورة التحريرية الجزائرية**(1954ـ1962م)مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 1428ـ1429هـ/2007ـ2008م، ص2.

[2] عبد الحميد إبراهيم قادري، **التركيبة البشرية لسكان وادي ريغ أيام بني جلاب**، أعمال الملتقى التاريخي الثالث حول فترة حكم بني جلاب بمنطقة وادي ريغ، أيام 23ـ24 أفريل 1998م، منشورات جمعية الوفاء للشهيد، تقرت- الجزائر، د.ت، ص19.ينظر الملحق رقم(03) رسم تخطيطي لمدن وادي ريغ.

[3] هو بحيرة الصحراء المالحة وهي جافة في الصيف تقريبا و تلتمع أيضا مثلما تلتمع في الشتاء،وأن ملحها يكوّن قشرة فوق البحيرة وهي ما يصفه سكان الإقليم بالجفاف ولكن الماء يبقى دائما تحتها، وتدعى هذه البحيرة المالحة في الخرائط سبخة ملغيغ أو شط ملغيغ والسبخة أو الشط يدل على هذا النوع من البحيرات المالحة التي توجد بكثرة في الجزائر،كما تعتبر أكبر بحيرة مالحة في الجزائر كلها و يبلغ طولها 45كلم ويتراوح عرضها في بعض بين 30و35كلم،ولسبخة ملغيغ فيما يخص حدودها فهي تختلف عن جميع السباخ الجزائرية إذ لا يوجد بها النباتات بل تخلو منها تماما ولهذا فقد أطلق عليها فون مالتسان اسم البحر الميت الذي ينطبق عليها أكثر من البحر الميت الحقيقي الموجود بفلسطين الذي ينمو على شواطئه القصب و الأزهار البرية بشكل غزير،عكس ما هو عليه الأمر في ضفاف سبخة ملغيغ،ينظر:هاينريش فون مالتسان، **ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا**، تر:دودو أبو العيد،ج3، د.ط ،ش.و.ن.ت، الجزائر، 1980م، ص ص 136ـ137.

ومن الجنوب ورقلة، ومن الشرق العرق الشرقي الكبير، ومن الغرب منحدر حصوي وهضبة ميزاب[1].

أما فلكيا فيقع الإقليم بين دائرتي عرض 32.54°و34.09°شرقا و يبعد عن الجزائر العاصمة بـــ 618كلم، وعن ورقلة بـــ 161كلم، وعن حاسي مسعود بـــ 171كلم، ووادي سوف بـــ 95كلم، وأخيرا عن بسكرة بـــ 220كلم[2].

وقد اشتهر وادي ريغ بتسميات عديدة عبر تاريخه فقد سماه ياقوت الحموي بالزاب الصغير أو ريغ[3] فيقول:"(...) بالمغرب زابان الزاب الكبير منه بسكرة وتوزر، قسنطينة، طولقة، نفطة وبادس (...) و الزاب الصغير يقال له ريغ فمن كان منه تقال له ريغ"[4]، وسماه ابن خلدون بلاد ريغ أو أرض ريغ نسبة إلى ريغة إحدى بطون مغراوة[5]، وابن سعيد أيضا سماه ببلاد ريغ[6].

---

[1] معاد عمراني،**أسرة بني جلاب في منطقة وادي ريغ خلال القرنين 19و20م دراسة سياسية و اجتماعية**، رسالة لنيل درجة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، 1422ـــ1423هـــ/2002ـــ2003م، ص8.

[2] خمرية بن موسى و خديجة صافية، المرجع السابق، ص3.

[3] كلمة بربرية معناها السبخة، ينظر:ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج3، د.ط ، د.ت، ص124.

[4] ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص ص113ـــ124.

[5] في هذا الصدد يقول ابن خلدون : "وأما بنو ريغة فكانوا أحياء متعددة (...) ونزل أيضا الكثير منهم ما بين قصور الزاب و وركلا،فاختطوا قرى كثيرة في عدوة ينحدر من الغرب إلى الشرق (...)"، ينظر:عبد الرحمان ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، مج7، د.ط، دار الكتاب اللبناني، د.ت، ص47.

[6] إذ يقول ابن سعيد: "(...) وفي شرقها بلاد ريغ طولها نحو 5أيام وهي بلاد نخل و محمضات ومياه تتبع على وجه الأرض فيصعد الماء كالسهم إلى أمد طويل و يهيم في المزارع (...)"،ينظر:خمرية بن موسى و خديجة صافية، المرجع السابق، ص ص3ـــ4، نقلا عن موسى ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، تح: إسماعيل العربي، ط2، د.ن، الجزائر، 1982م، ص126.

وادي ريغ منطقة كثيرة الرمل، لذلك فإن الشخص لا يكاد يرى من بجانبه في حالة رياحها[1] وأما العدواني فقد حدد تسمية وادي ريغ أي ريغ بالضبط نسبة إلى اسم رجل يقال له ياهوت بن شملخ بن كعب بن غادية من ولد أندلس بن يافث بن نوح عليه الصلاة والسلام[2].

ويضيف عبد القادر موهوبي موضحا أن الوادي الذي عمر عليه السكان الأوائل هو الوادي الجوفي الذي ينساب تحت الأرض وهو مصدر المياه والينابيع التي تسقى بها الفلاحة والنخيل[3] أما الوادي الحالي الذي يسيل في القناة التي تنحدر من بلدة عمر وتصب في شط مروان الذي تعرف بالسفالة فهو حديث العهد والنشأة تكوّن بعد عمارة الإقليم من جديد عندما كثرت مياه السقي التي تسقي غابات النخيل المنتشرة على طول الإقليم[4].

و يتوضع فوق شريط وادي ريغ أكثر من 35مدينة وقرية ودشرة تشكل في مجموعها واحات وادي ريغ نذكر أهمها:

أ/منطقة المغير[5] التي تضم (أم الطيور و نسيغة، سيدي خليل، البارد، تندلة والمغير أيضا).

ب/منطقة جامعة[6] وتضم (لغفيان والزاوية، مازر، تقديدين، سيدي عمران، تمرنة، سيدي يحي وناهيك عن جامعة).

---

[1] مولاي بالحميسي، **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، د.ط ، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1979م، ص89.

[2] العدواني محمد بن محمد بن عمر، **تاريخ العدواني**، تق و تع:أبو القاسم سعد الله، د.ط، دار البصائر، الجزائر، 2007م، ص138.

[3] عبد القادر موهوبي،**ومضات تاريخية و اجتماعية لمدن وادي ريغ...**، د.ط، دائر البصائر، الجزائر،2011م، ص25.

[4] عبد الحميد إبراهيم قادري،**التعريف بوادي ريغ**،د.ط ،منشورات جمعية الوفاء للشهيد،تقرت،د.ت،ص1.

[5] تقع شمال وادي ريغ وتبعد عن تقرت بـــ 100كلم ، وحاليا أصبحت إداريا تابعة إلى ولاية وادي سوف.

[6] تقع شمال تقرت وتبعد عنها بحوالي 50كلم،أما أصل تسميتها فيوجد رأيان الأول نسبة إلى الجامع أي المدرسة القرآنية ،أما الثاني و هو الأرجح حيث يقال أنه بعد انتشار السكان على طول وادي ريغ فكر أعيان المنطقة بضرورة

ج/منطقة تقرت وتشتمل (منطقة سيدي راشد التي اندثرت، سيدي سليمان وهرهيرة، مقر، القصور، غمرة [1]، المقارين، الزاوية العابدية، تبسبست[2]، تقرت، النزلة[3]، تماسين، بلدة عمر و قوق[4]).[5]

كما تعد مدينة تقرت ذاتها بمثابة العاصمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لإقليم وادي ريغ أما مدينة تماسين[6] فهي العاصمة الدينية لوجود مقر الزاوية التجانية بها[7].

عقد اجتماع تعاوني استشاري للنظر و دراسة وضعية الإقليم وقد دام هذا التجمع ما بين 4 أو5 أيام بعد فراق طال تقريبا 10 سنوات ولهذا قاموا بتسمية موضع اللقاء بجامعة لأنه جمع أعيان وادي ريغ ،ينظر:خمرية بن موسى و خديجة صافية ،المرجع السابق، ص4.

[1] بها قرية تالا(تالة) القديمة التي أصبحت مهجورة تقع شمال غرب تقرت وتبعد عنها بحوالي 12كلم، ينظر:محمد الصغير بن لعمودي، **تقرت عاصمة وادي ريغ**، ط1، المطبعة العصرية للواحات، تقرت، 1995م، ص31.

[2] تعد من أحد الأحياء الكبرى لمنطقة تقرت تقدر مساحتها بـــ 45كلم[2] ،يعود مصدر تسميتها إلى كلمة بربرية تبسبست أو تبصبصت و معناها البعوض أو الصراصير حيث كان بكثرة في العمران القديم وهذا ما أدى بالسكان إطلاق هذه التسمية على هذه المنطقة و لكثرة تضرر أبنائهم به ، ينظر:محمد الطاهر عبد الجواد، **بحث تاريخي حول أحياء بلدية تبسبست دائرة تقرت ولاية ورقلة**، د.ط، د.ن، تقرت، الجزائر، 1986 م، ص4.

[3] من القصور القديمة بها ضريح سيدي محمد بن يحي الإدريسي ،ينظر:محمد الصغير بن لعمودي ،المرجع السابق ،ص31.

[4] تقع جنوب تقرت و تبعد عنها بحوالي 30كلم قرب بلدة عمر بها ضريح سيدي بوحنية ، ينظر:محمد الصغير بن لعمودي، المرجع نفسه، ص31.

[5] محمد الطاهر عبد الجواد، **عاصمة وادي ريغ ــ تقرت ــ أيام بني جلاب**، أعمال الملتقى التاريخي الثالث، فترة حكم بني جلاب بمنطقة وادي ريغ، أيام23ــ24أفريل1998م، منشورات جمعية الوفاء للشهيد، تقرت، د.ت، ص ص 47ــ48.

[6] تقع جنوب تقرت تبعد عنها بـ 10كلم ،تعود تسميتها إلى روايتين الأولى تقول أن قوما قدموا من الشرق ولما وصلوا إليها وقع اختيارهم عليها ثم أخذوا يطوفون حولها وهم يقرؤون ما تيسر من القرآن الكريم، لتحصين أنفسهم من شر الإنس و الجن، وكان آخر ما ختموا به تلاوتهم سورة ياسين، فقالوا تمت ياسين فسميت المنطقة بذلك و بمرور الزمن اختصرت إلى تماسين، ينظر:معاد عمراني،المرجع السابق، ص10.

[7] معاد عمراني، المرجع السابق، ص ص9-10.

و يقسم محمد الصغير بالعمودي إقليم وادي ريغ إلى ثلاثة مناطق رئيسية هي:دائرتي جامعة والمغير إلى الشمال وفي الوسط دائرتي المقارين وتقرت وإلى الجنوب دائرة تماسين[1].

ويحدد ناصر الدين سعيدوني موقع تقرت بأنها تقع في أقصى جنوب المنخفض الصحراوي الكبير بين خطي عرض 33°شمال خط الاستواء يكتنفها العرق الشرقي الكبير من ناحية الشرق وتحف بها هضاب الشبكة وحمادة وميزاب وتادمايت من الغرب والجنوب وتحاذيها منخفضات وادي ريغ والزيبان ونفزة والجريد من الجهات الشمالية والشرقية وهذا الوضع الطوبوغرافي الخاص جعلها تتوسط إقليم متميز من الصحراء الشرقية الجزائرية[2]. وفي هذا الصدد يقول الحاج ابن الدين الأغواطي: " تقرت هذه البلدة هي عاصمة المنطقة ولها نفوذ على 24 قرية وهي تحتوي حوالي 400 منزل ومحاطة بأسوار ولها أبواب وهذه الأسوار محاطة بدورها محاطة بخندق يمكن مقارنته ببحر من الماء وهذا يتصل بعيون ما تصب جميعها فيه وعلى هذا الخندق ثلاثة جسور ولمساجد تقرت منارات عالية جدا"[3]. ويقول عنها ابن خلدون : "(...) و أكبر هذه الأمصار يسمى تقرت مصر مستبحر العمران بدوي الأحوال كثير المياه والنخل (...) ثم بعد مدينة تقرت بلد تماسين وهي دونها في العمران والخطة "[4].

أما شارل فيرو فيقول :" تقع مدينة تقرت على بعد 135 فرسخا من الساحل بين الدرجة 3 و4 من خط الطول و33° عرضا وتعد عاصمة لوادي ريغ وهذا الأخير يطلق على مجموعة الواحات الممتدة من خط طول بسكرة تقريبا إلى واحة بليدة عمر في أقصى

[1] محمد الصغير بن لعمودي، المرجع السابق، ص5.

[2] ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د.ت.

[3] الحاج ابن الدين الأغواطي، **رحلة الأغواطي في شمالي إفريقية و السودان و الدرعية**، تر:أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م، ص264.

[4] عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ص48.

جنوب هذا الحوض ويدعوها العرب بقلب الصحراء، كما تضم مدينة تقرت مجموعة من القرى التي تبعد أقصى واحدة منها مسافة 3كلم وكلها تشكل ضاحية تقرت نذكر منها: النزلة، سيدي محمد، سيدي بن جنان، بني أسود[1]، تبسبست والزاوية (...)[2].

1ـ2/المناخ:

على غرار سائر مناطق الإقليم الصحراوية يسود إقليم وادي ريغ مناخ قاري جاف، بارد شتاءا، حار صيفا ينتابه جو ثقيل لا يساعد كثيرا على النشاط، إذ يؤثر على الحيوية خصوصا في فصل الصيف[3] حيث يسجل في فصل الشتاء والصيف تذبذبات قوية، في جانفي 8°و40° أو41°في جويلية وأوت كما عرفت عبر تاريخها أقصى درجة 50° صيفا وأدناها 2° شتاءا، ومتوسط سقوط الأمطار السنوي يقدر 60ملم وأقصاها 126ملم وأدناها 14ملم[4]، كما أنها تسقط بصفة غير منتظمة وبكميات قليلة نسبيا إلاّ أنها تحدث في بعض المرات فيضانات فجائية واضطرابات غير متوقعة تأتي على الأخضر واليابس[5]. وتتلف واحات من النخيل بمحاصيلها، ومن الأمثلة على ذلك ما حدث سنة 1969م إذ سقطت أمطار غزيرة عمت الجنوب الشرقي فخربت الديار، وأتلفت ما يقرب من 100.000نخلة وشردت عائلات وهلكت كبارا وصغارا، خصوصا منطقة المغير التي تضررت أكثر من غيرها، كما ارتفع منسوب مياه بحيرة ملغيغ التي انعكست على غابات النخيل[6]. أما بالنسبة للرياح تهيمن في فصل الخريف والربيع والشتاء الرياح الغربية والشمالية الغربية،

---

[1] تعتبر من إحدى الأحياء الكبرى لمنطقة تقرت، يعود مصدر تسميته إلى الأبناء الأسود الذين قدموا من صحراء توات جنوب عين الصفراء بالغرب الجزائري، ينظر:محمد الطاهر عبد الجواد، المرجع السابق، ص4.

[2] /feraud cherls, notes historique sur la province de constantine les ben djellab sultan de touggourt, r..a ,n°23 , 1879.p56.

[3] عبد القادر موهوبي، المرجع السابق، ص26.

[4] محمد الصغير بن لعمودي، المرجع السابق، ص6.

[5] خمرية بن موسى و خديجة صافية، المرجع السابق، ص7.

[6] عبد الحميد إبراهيم قادري، **التعريف بوادي ريغ**، المرجع السابق، ص2.

أما في فصل الصيف تقدم الرياح من الشرق ومن الجنوب الشرقي غير أن سرعتها تزداد في نهاية فصلي الربيع والشتاء وتحل بالمنطقة الرياح المشحونة بالرمل عادة في مارس وأفريل و ماي أما الشلوق (الشهيلي) خاصة في جويلية وأوت[1].

1ـــ3/التضاريس:

تتميز منطقة وادي ريغ من الناحية التضاريسية عموما بالبساطة والاستواء، باستثناء انحدار خفيف من الجنوب إلى الشمال يقدر بـــ 1% ،يبتدئ من قرية قوق جنوبا، وينتهي عند شط مروان شمالا، أما من حيث الارتفاع العام فيقدر بـــ 55م مع مرتفعات بسيطة لا تفوق 300م، والمنطقة منخفض حفري عريض ذو تكوينات ترابية جيرية تتتابع خلاله سبخات ملحية تفيض في الشتاء لتكوّن بحيرات دائرية الشكل عميقة مصدرها صعود المياه الجوفية. ونتيجة لشساعة الرقعة الجغرافية التي يتربع عليها الإقليم[2] أدى ذلك إلى تنوع أرضه من منطقة إلى أخرى حيث تتنوع تربتها ونباتها وطبيعة تضاريسها، فمنطقة المغير مثلا تتميز بتربة غضارية والسهول وبعض الهضاب التي تفصل بينها وبين منطقة جامعة، بينما تتميز هذه الأخيرة بسهول مستوية وسباخ واسعة، أما منطقة تقرت وضواحيها فتميزها الكثبان الرملية المحيطة بها شرقا وغربا تتوسطها سهول مالحة وبعض الهضاب الطينية الجرداء.

فالتربة تختلف من منطقة إلى أخرى وهذا ما أدى إلى تنوع المنتوجات وتغير مذاقها من جهة إلى أخرى[3].

[1] محمد الصغير بن لعمودي، المرجع السابق، ص6.

[2] خمرية بن موسى و خديجة صافية، المرجع السابق، ص ص5ـــ6.

[3] عبد الحميد إبراهيم قادري، **التعريف بوادي ريغ**، ص2.

1ـــ4/المياه:

إن إقليم وادي ريغ لا يستفيد كثيرا من مياه الأمطار المتساقطة، لأنه أولا يعاني من قلتها وثانيا لأنها تضيع غالبا في الرمال أو في شقوق الأرض أو تصب في بحيرة ملغيغ و بهذه الطريقة فإن الفلاح لا يستفيد منها، كما لا يحتاج إليها كثرا كشأن الأقاليم الأخرى لأن نوع الإنتاج الذي يعمل من اجله لا يتحمل الرطوبة كثيرا، خصوصا في فصل الخريف موسم جمع الغلة[1].

أما بالنسبة للمياه الجارية فإن إقليم وادي ريغ يعاني أيضا من قلة الأودية الجارية، و التي كانت في معظمها أودية كاذبة كوادي المرارة، و وادي الرّزيق، ووادي الرّتم ...الخ[2]، وإنما تجري إلاّ على اثر سقوط الأمطار فينحدر بعضها من الهضاب العليا و بعضها من البوادي المرتفعة ألاّ أن مياهها تضيع الرمال أو تنتهي في بحيرة شط مروان من ملغيغ ولا يستفيد الفلاحون منها مباشرة إلا ما انساب تحت الأرض فيزيد في مياه الآبار، ولعدم جريان الأودية بصفة منتظمة مثل الأودية بمنطقة الزيبان بواسطة السدود كما هو الحال بسيدي عقبة والقنطرة...الخ. جعل الفلاح يلجاء إلى حفر الآبار التي تدفع المياه إلى الأعلى تلقائيا ثم تجري على السطح وفي السواقي ومجاري توزيع المياه وبهذا تمكن من تجاوز الصعوبات والمتاعب لتوفير السقي للنخيل[3]. ولكن لا ننسى أن الفضل يعود إلى مصادر المياه الجوفية التي كانت المنطقة غنية بها جدا، وقد وصف ابن خلدون طريقة حفرهم لهذه الآبار للحصول على المياه في هذه الربوع فيقول: "...وفي هذه البلاد الصحراوية إلى وراء العرق، غريبة في استنباط المياه الجارية لا توجد في تلول المغرب و ذلك أن البئر تحفر عميقة بعيدة المهوى وتطوى جوانبها إلى أن يوصل بالحفر إلى

[1] عبد الحميد إبراهيم قادري، المرجع نفسه، ص2.

[2] خمرية بن موسى و خديجة صافية، المرجع السابق، ص7.

[3] عبد الحميد إبراهيم قادري، **التعريف بوادي ريغ**، ص ص2ـــ4.

حجارة صلبة فتحت بالمعاول والفؤوس إلى أن يرق جرمها، ثم تصعد الفعلة ويقذفون عليها زبرة من الحديد تكسر طبقها عن الماء فينبعث صاعدا فيهم البئر ثم يجري على وجه الأرض واديا..." ومنذ احتلال فرنسا للمنطقة شرعت بحفر الآبار الارتوازية لاستغلال المياه الجوفية[1] ومثل هذه العيون التي تحدث عنها ابن خلدون يسميها العامة "عيون الإسلام" أو "العوينات" وتمييزا عن الآبار الارتوازية الحديثة التي حفرتها الآلة البخارية في عهد الاستعمار، قد اختصت عائلات لحفرها وغذوا يسمون بالغطاسين لأنهم يقومون بحفر الآبار ومسحها وتنقيتها من الأوساخ والأوحال، وهنا يتبين لنا أن الإقليم قد عرف الآبار الارتوازية قبل تدخل الاستعمار الذي استخدم الآلات بدل الطريقة التقليدية وفي هذا الصدد يقول الرحالة الألماني غير ستر:"يعتقد الخبراء أن وادي ريغ هو المنطقة الوحيدة في الصحراء التي كان أهلها يعرفون الآبار الارتوازية ويحفرونها قبل وصول الأوروبيين"[2]. والطريقة التقليدية لحفر هذه الآبار تكون بجعل حفرة مربعة الشكل عمقها بضعة أقدام تسند جدرانها الداخلية بأخشاب من النخيل وتوضع جدعان منها فوق الحفرة تربط بها بكرة يتدلى منها حبل معلق به سلة الغرض منها حمل التراب الذي يتجمع بعد مواصلة الحفر ليلقى بعيدا ،وفي كل مرة تسند جدران الحفرة بالأخشاب بعد مواصلة الحفر، وقد و صل عمق البئر إلى ستين قدما.

وكانت طبقات الأرض في وادي ريغ على نوعين حجرية وترابية فالمنطقة الحجرية إذا حفرت آبارها تبقى لمدة أطول كما يستغرق حفرها كذلك فترة طويلة من الزمن أما المنطقة الترابية والتي تسند جدرانها بالأخشاب كما رأينا سابقا فإنها سرعان ما تفسد

[1] خمرية بن موسى و خديجة صافية، المرجع السابق، ص7، نقلا عن:
جورج غير ستر، **الصحراء الكبرى**، تر:خيري حماد، ط1، منشورات المكتب التجاري،بيروت ــ لبنان ، 1961م، ص ص110ــ113.

[2] هاينريش فون مالتسان، المصدر السابق، ص ص143ــ144.

وتصبح لينة ثم تنهار وتغطي البئر، وهذا ما حدث في بعض واحات وادي ريغ مما جعلها فقيرة إلى الماء بسبب الفساد الذي حل بالبئر الخشبي وبسبب ليونة الأرض أيضا[1].

ويعد بئر تمرنة أول بئر بالمنطقة عرف الطريقة الأوروبية الحديثة وكان ذلك سنة 1856م وفي السنة الموالية من عام 1857م تم حفر بئران واحد بمنطقة سيدي راشد، والثاني بمنطقة تملاحت بتماسين، ومنذئذ توالت عمليات الحفر في مختلف القرى والمداشر[2]. وعموما فإن المياه بوادي ريغ كما علق عليها الرحالة فون مالتسان يقول:"ومما يثير الدهشة في الصحراء كمية المياه الكثيرة التي تكمن في جوفها فما يكاد المرء يحفر حفرة عميقة إلى حد ما حتى تظهر للعيان كمية كبيرة من الماء لا يمكن أن تتوفر في أوروبا في خمس آبار ارتوازية "، كما يضف بأن مياه وادي ريغ نفسه غير صالح للاستعمار ومذاقه مالح لأنه يحتوي على الكلس[3].

1ـ5/الغطاء النباتي:

تغطي أرض وادي ريغ أنواع كثيرة من النباتات التي لا تتأثر بالأملاح أو الجفاف[4] ولهذا فإن منطقة وادي ريغ منطقة سبخية تتميز بغطائها النباتي[5] المتنوع من أشجار ونباتات تنمو وتتبت بها، من بينها الطرفاء التي لا يتجاوز طولها ثلاثة أمتار وتتفرع إلى أغصان تتشكل منها قبة خضراء، كذلك الدفلى والخروع، الكاليتوس الذي لم يعرفه السكان إلاّ في مطلع العشرينات من هذا القرن على أيدي المعمرين وكلها تعد من الأشجار الطويلة، أما الأشجار القصيرة فلا تعد ولا تحصى منها الزينا، البلبال والذمران يكثر

[1] هاينريش فون مالتسان، المصدر نفسه، ص ص143ـ144.
[2] عبد الحميد إبراهيم قادري ،**التعريف بوادي ريغ** ، المرجع السابق، ص5.
[3] هاينريش فون مالتسان ،المصدر السابق ،ص ص144ـ145.

[4] عبد الحميد إبراهيم قادري ،المرجع السابق ،ص5.
[5] عبد القادر موهوبي ،المرجع السابق ،ص26.

نموها بضواحي المغير، أما السويد والغدام والدرين[1] والمليح فهي موجودة في كامل الإقليم.

أما الأعشاب والنباتات التي ترعاها الماشية والإبل فكثيرة كالشيح، الحرمل، القرطيفة، البسباس والكبار والعرعار ...الخ وكلها برية تكثر بهضاب وأودية منطقة المغير.

بالإضافة إلى اللواي والديس، القصب، السمار، البرسيم البري والعلفي والخرطال ...الخ فكلها تنمو بالغابات ومنها ما ينبت بإرادة الفلاح ومنها ما ينبت بدون تدخله ومن هذه النباتات ما هو نافع يحتاجه الفلاح ومنها ما هو ضار.

النافعة منها هي تلك الأعشاب والحشائش التي يحتاجها الفلاح لتغذية حيواناته وهي تكثر في فصلي الربيع والصيف، كذلك فوق الهضاب والأودية ... في الأعوام الماطرة، أما في أيام الشتاء التي تشح فيها الأرض فإنه يخزن تلك التي يزرعها بنفسه مثل الخرطال والبرسيم والبشنة لعلف البهائم بها في الأعوام المجدبة[2]. أما الضارة هي تلك الأعشاب التي تزاحم المزروعات وتؤثر على خصوبة الأرض ومنها القصب، السمار، الديس، النجم، ...الخ ولهذا فهي بمثابة العدو اللدود للفلاح والأرض معا. لأنه إذا لم يتم إزالتها قبل استفحالها تنتشر بسرعة وتقضي على خصوبة الأرض والمحصول معا. ولكن في الأونة الأخيرة أصبحت توجد مبيدات كيماوية خاصة يستخدمها الفلاح للقضاء على النباتات الضارة بسهولة[3].

ومن خلال ما سبق ذكره حول الدراسة الجغرافية والإقليمية لمنطقة وادي ريغ من موقع ومناخ وتضاريس ومياه وكذلك الغطاء النباتي نجد أن هذا الإقليم وما يتميز به من رقع جغرافية واسعة وعوامل سطح قد انعكست على الجانب الاجتماعي والاقتصادي مما

[1] هو الحلفاء الرملية .
[2] عبد الحميد إبراهيم قادري ،المرجع السابق، ص5.
[3] عبد الحميد إبراهيم قادري، المرجع نفسه، ص ص5ـــ6.

جعله منطقة جذب للسكان بحيث تمركز أغلبية سكانه حول واحات النخيل المثمرة وبدورها تشكل المنتوج الفلاحي المسيطر اقتصاديا، خاصة التمور التي أصبحت من أهم التجارة التي تعرف بها المنطقة. ومن أمثلة ذلك نأخذ منطقة تقرت التي تغطي زراعة النخيل فيها 4000هكتار[1].

وبما أن هذا الإقليم حقق مناخ مناسب يضمن للسكان حياة اجتماعية واقتصادية والتي سوف نتعرض لها فيما بعد بأدق التفاصيل فهذا لا يمنع من احتراف مهنة الرعي وذلك لتوفره على بعض الحيوانات المتنوعة ومنها ما هو نافع مسخر لفائدة الإنسان مثل الجمال، الماعز، الحمير، الخيل، البغال والأرانب ...الخ فعليها يحمل ويسافر ومنها يحلب ومن صوفها ووبرها يلبس ويفرش ومن لحمها يتغذى ومنها الحارس الأمين والأنيس كالكلاب والقطط، إلى جانب ذلك نجد الطيور مثل الحمام، الدجاج، الحجل ، الزرزور، البوم ...الخ، أما بالنسبة للضارة نجد الجرذان، القنافذ، الجنزير والذي ظهر في السنوات الأخيرة أما الزاحفة مثل الحرباء، الوزغ، الأبرص السام، العقارب ...الخ، وإلى كل هذا لا ننسى أيضا الحشرات التي كانت كثيرة بالمنطقة بسبب كثرة سباخها لأنها كانت منطقة سبخية وهذا ما أدى إلى إحاطة الحشرات بكثرة بها مثل الذباب، البق، البرغوث، الصراصير، البعوض، النمل ...الخ. وبالبرك أيضا والمستنقعات والخنادق والسواقي نجد الضفادع وبعض أنواع السمك النهري الذي يكثر بخنادق المهدية، سيدي عمران، وجامعة وبحيرات سيدي خليل وسيدي عمران، مرجاجة والبحور بتماسين وأخيرا إلى بعض الزواحف المائية كالعلق[2].

[1] محمد الصغير بن لعمودي، المرجع السابق، ص6.
[2] عبد الحميد إبراهيم قادري ،المرجع السابق ،ص6.

2/لمحة تاريخية عن منطقة وادي ريغ:

إن المصادر التاريخية التي تتحدث عن منطقة وادي ريغ قبل الفتح الإسلامي قليلة جدا أو تكاد تنعدم[1]، و لهذا اختلف المؤرخين الذين تحدثوا عنها من حيث سنة تأسيسها بالضبط أي لم يذكروا تاريخ تأسيس محدد، وإلى أي عهد يعود، وكذا عدم الإشارة إلى جنس الذي أسسها. باستثناء البعض مثل الحسن الوزان الذي أعاد تأسيسها إلى العهد النوميدي، ولكنه لم يحدد السنة أو القرن الذي تأسست فيه فيقول في كتابه وصف إفريقيا:"تقرت مدينة قديمة بناها النوميديون على جبل في شكل نتوء، يمر في سفحه نهر صغير يقطعه جسر ..." والبعض الآخر قالوا أسسها الثوار الذين ألجأتهم الجيوش الرومانية إلى ما وراء الأطلس الصحراوي[2]، كما أنه لا يوجد ما يثبت أن الرومان قد احتلوا منطقة وادي ريغ فهم في توسعهم لم يتجاوزوا منطقة الزاب، حيث اكتفوا بإنشاء معاقل لهم في واد جدي عند بسكرة، فالصحراء لم تكن مغرية الرومان فضلا عن كونها مجاهل محفوفة بالأخطار وليس فيها من السكان والموارد ما يسوغ المغامرة في رمالها إلى أبعد من حافتها الشمالية[3]، زد على ذلك أنه لم يتم اكتشاف أي حجارة رومانية في رادي ريغ، ولكن هناك بعض الأقوال المتوارثة التي تقول بأن الرومان حاولوا الدخول لكن لم يستقروا هناك على وجه قطعي لأنهم لم يتمكنوا من ذلك. فيروي أحدهم بأن البدو أبادوا جيشا رومانيا قرب واحة تمرنة بينما غرق آخر في مستنقعات تماسين. إلا أنّ هذه الأخبار لا تستند إلى أي وثيقة مؤكدة كما تمت روايتها على أكثر من وجه إلاّ أنه يجب الالتزام برواية الحدث دون زيادة أو نقصان للأمانة العلمية[4]. ومن هنا لا يمكن الجزم بمعلومات صحيحة أكيدة تشير إلى طبيعة الحياة التي كانت سائدة في هذا الإقليم قبل الفتح الإسلامي. إلا إذا اعتبرنا أن

---

[1] معاد عمراني، المرجع السابق، ص11

[2] عبد الحميد إبراهيم قادري، **تقرت البهجة...**، د.ط، مطبعة الإسكندر، قسنطينة، الجزائر، 2011م، ص64.

[3] معاد عمراني، المرجع السابق،ص12.

[4] feraud cherls,op.cit, p10.

الأحداث التي تكون قد جرت عليه هي نفسها التي جرت في الأقاليم المجاورة له (الزيبان، ورقلة، وادي سوف) بحكم ارتباطه بهذه الأقاليم[1].

وما يمكن استنتاجه أن هذا الإقليم يعد امتدادا للطريق التجاري الروماني الذي يربط التل الجزائري ببلاد السودان، وان لم نتوصل في إذا كان هناك تواجد روماني بشري في الواحات وخاصة وادي ريغ فإنّه كان يشكل سوقا هاما في التبادل التجاري مع الشمال الخاضع للسيطرة الرومانية[2]. وفي هذا الصدد حول التواجد الروماني في المنطقة يقول بطليموس:"هذه المنطقة من الواحات تشبه جلد الفهد، ولا شيء أدق من هذا التشبيه حيث يمثل اللون الأصفر على الجلد رمال الصحراء المائلة للصفرة وتمثل البقعة الداكنة مجموعات النخيل التي يبدوا لونها الأخضر النّضر(الداكن)أسود من بعيد"[3].

أما في فترة الفتوحات الإسلامية فهناك من يرجع تشكّلها إلى ما بعد دخول الإسلام إلى المغرب الإسلامي، فهناك روايات تقول أنّ انتشار الإسلام في المنطقة يعود إلى عقبة بن نافع وحسان بن النعمان، ولكن ما هو معروف أو كما ورد في كتب الفتوحات الإسلامية في المغرب الإسلامي فإن عقبة لم يبلغ ناحية المنطقة إذ أنّه توفي في منطقة تهوده بالزاب ببسكرة. كما لم يرد عن حسان أنه قد وصل المنطقة كذاك ولهذا لا يمكن القول بأنّ الإسلام انتشر هناك نتيجة لفتوحات عقبة والولاة الذين جاءا من بعده[4]. وإنما قد يكون لعوامل أخرى مثل التجارة التي كانت محفوفة بالعلماء والفقهاء وكذلك عامل الهجرة مثل قبيلة زناتة البربرية الذين تفرقوا في البلد. وهاجروا من الشمال إلى الجنوب بعد سقوط الدولة الرستمية علي يد بني عبيد الشيعيين[5]. ومن هذه الهجرات فقد توالت عدة وفود أخرى تعاقبت على المنطقة خاصة بعد انتشار المذهب الإباضي بها فخضعت إلى

[1] معاد عمراني، المرجع السابق، ص11.
[2] معاد عمراني، المرجع نفسه، ص12.
[3] feraud cherls, op.cit, p161.
[4] معاد عمراني، المرجع السابق،ص13.
[5] عبد الحميد إبراهيم قادري، المرجع السابق، ص64.

سيطرت عدة دول منها ملوك مراكش ثم تلمسان ثم الحفصيين بتونس[1]، ويقال عندما صارت للحفصيين السلطة المطلقة على وادي ريغ أعطوا سيادة كل هذه البقاع الممتدة لغاية ورقلة إلى سيد يدعى"المزني" والذي استمرت عائلته في الحكم من بعده طويلا. كان يتميز حكم الحفصيين بعادات الاستغلال وذلك بفرض ضرائب باهضة على سكان المنطقة باسم السلطان.

وفي شأن ولاية الحفصيين على المنطقة يقول العدواني:"وقد كانت تحت والي من تونس قبل ولاية الترك بقسنطينة ويسمون بالعدايسية نسبة إلى أعداس الذي ترك فيهم أربعين ولدا و أربعين أميرا"[2].

وفي أواسط القرن الرابع عشر ميلادي كانت مدن وادي ريغ تعيش مستقلة عن بعضها البعض وكل واحدة منها تشن الحرب على جارتها كما كان الأمر بين العائلة الحاكمة في تقرت عائلة عبيد الله و العائلة الحاكمة في تماسين عائلة بني إبراهيم وهذا الصراع يعود إلى زمن طويل، ومن أجل إعادة النظام عيّن السلطان الحفصي قائده الأعلى "ابن الحكيم" على وادي ريغ سنة 1338م ولكنه استولى على تقرت فسلب مخازنها. واستنادا للروايات الشفهية عن الحقائق التاريخية الماضية قيل بعد سقوط حكام تقرت الحفصيين عمت الفوضى في هذه المنطقة إلى أن جاء رجل ذو نفوذ يدعى "بلال" فستولى على الحكم بالقوة. كما أنّه لم يكن للمدينة موقعها الحالي بل كانت على ما وراء قرية "النزلة" عند منطقة تدعى تقرت القديمة[3]. وما يؤكد ذلك عندما قال مالتسان أن هناك توقرت قديمة كانت تقع قرب توقرت الحديثة "الحالية" وهي عبارة عن ركام من الآثار تختفي في غابة النخيل بواحة النزلة[4].

[1] معاد عمراني، المرجع السابق، ص14.
[2] محمد بن محمد بن عمر العدواني، المصدر السابق، ص138.
[3] feraud cherls, op.cit, p.p162_163.
[4] هاينريش فون مالتسان، المصدر السابق، ص178.

في شمال تقرت، توجد قرية "تالة" وهي اليوم مجرد أطلال، كانت تعيش فيها امرأة فائقة الجمال تدعى "البهجة" وكان شباب العائلات يتنافسون على تلبية رغباتها، بعدها طردت من تالة واتجهت من هناك نحو تقرت ويقال كان ذلك بسبب الفضيحة، وعندما رفض الشيخ بلال استضافتها في بلاده أقامت في كوخ من جريد النخيل، بناه لها محبوها الذين اتبعوها، عند المكان الذي بني فيه بعد ذلك مسجد مدينة تقرت الجديدة. كما كان هناك مرابط من منطقة المسيلة جاء لجمع التبرعات من أجل زواياه إلا أنه رفض من قبل الشيخ بلال والقوم معا، والمتبعون للمذهب الإباضي أيضا سواءا من حيث منحه بعض الصدقات أو حتى استضافته عندهم، لاعتباره من أهل البدع. وهكذا صار المرابط بلا مأوى حتى لمح كوخ "بهجة" فاتجه صوبه فرحبت به ووفرت له ضيافة لائقة بمساعدة محبيها. وقبل رحيله دعى الله أن يبارك في بهجة على ضيافتها الكريمة وبإخلاء وفقر انهيار بيوت بخلاء تقرت، ومنذئذ صارت المنطقة في جو من النزاعات والمعارك حتى أدت إلى هجرة سكانها منها. عندها خلا الجو للبهجة حيث استبدلت الكوخ بمنزل جميل مبني بالأخر الطيني الجاف وأعادت تأسيس المنطقة من جديد وحينها صارت هذه المدينة تسمى باسم مؤسستها "تقرت البهجة"[1].

وكما رأينا سابقا أن منطقة وادي ريغ عامة وتقرت خاصة قد حكمت من طرف مجموعة من الأسر والشيوخ وكان آخر شيخ حكم مدينة تقرت فبل مجيء بني جلاب إلى الحكم هو سيدي محمد بن يحيي[2]، لقد جاءت حول هده الشخصية سيدي محمد بن يحي

[1] حول تقرت البهجة هناك عدة روايات، صحيح أنها كلها تشترك في أن البهجة هو اسم امرأة جميلة لكن الاختلاف يكمن في اسم تقرت إن كان يعود إلى امرأة؟ وهل كانت هي من تقرت أو من منطقة أجرى؟ وهذه إحدى الروايات حيث يقال أن اسم تقرت البهجة مشتق و منسوب لامرأة جميلة سكنتها. جاءت من منطقة اسمها"أورت"من ناحية الغرب، و هذه المرأة تسمى بـ"توق"و أطلق عليها البهجة لجمالها. فبذلك تكون تقرت مركبة من كلمتين هما توق و أورت(توقورت). كما كان للبهجة توق حكايات كثيرة مع بعض المرابطين الذين زاروا المنطقة وادي ريغ، ينظر: معاد عمراني، المرجع السابق، ص9،نقلا عن:

feraud(ch), notes historiques sur la province de constantine les ben djellab sultan de touggourt, r..a, n°23,1879, pp164-165.

[2] معاد عمراني، المرجع السابق، ص15.

الإدريسي عدة آراء ورايات مختلفة وغير متطابقة فمثلا في كراسة محمد الطاهر بن دومة رحمه الله يقول " سيدي محمد بن يحي الريغي السطايفي سلطان واد ريغ ...". وهنا نجد أنه يرجع نسبة إلى قبيلة ريغة السطايفية وينفي عنه صفة النسب الإدريسي كذلك عبد الحميد قادري الذي نقل عنه في كتابه التعريف بوادي ريغ فيؤكد نسبه إلى قبيلة ريغة من سطيف لاعتماده على ما جاء في كراسة الشيح الطاهر بن دومة.

أما الأستاذ محمد الطاهر عبد الجواد فقد أرجع نسب سيدي محمد بن يحي الإدريسي إلى العائلة الإدريسية أي من المغرب الأقصى مع انّه يعد الناشر لكراسة الشيخ الطاهر بن دومة أي أنّه مطلع عليها ولم يمشي رأيه وهذا يدل على اعتماده على مصادر ومراجع استند عليها في هذا الطرح[1].

أما شارل فيرو الذي استند إلى الروايات الشفوية فإنّه يقر قائلا:"... وها هو ذا واحد آخر تذكره الرواية ويدعى سيدي محمد بن يحي وهو شريف مغربي ولاشك أنّه من العائلة الإدريسية"[2].

أما إذا عدنا إلى رأي الأستاذ شافو رضوان في كتابه "بحوث ودراسات في تاريخ واد ريغ" حول الاختلاف في أصل سيدي محمد بن يحي الإدريسي هل هو ريغي أم إدريسي فيقول أنّ الأقرب للصواب هو الطرح الثاني أي أنه (إدريسي). وذلك يعود للإثبات الذي اعتمد عليه في البلوغ إلى الحقيقة فبما أن الرواية أو جل الروايات تقول أنّه قدم من المغرب الأقصى مارا بتقرت لأداء فريضة الحج فاستقر بها. مع العلم أن منطقة تقرت كانت تمثل محطة لاستراحة القوافل التجارية والحجاج ،وإذا كان سيدي محمد بن يحي أصله من المغرب الأقصى فهذا يتطلب استقراء الأحداث التاريخية في تلك الفترة ببلاد المغرب العربي. ومن المتعارف عليه أن بلاد المغرب كانت تعيش صراعات

[1] عبد القادر موهوبي،**آل البيت في الجزائر و العالم العربي الإسلامي...**،د.ط، مطبعة بن سالم، الأغواط، الجزائر، 2009م، ص424.

[2] feraud cherls, op.cit, p164.

سياسية وتطاحنات فكرية ومذهبية بين مختلف الدويلات الإسلامية ما بين القرنين السابع والعاشر الميلاديين. وهنا يخص بالذكر الدولة الإدريسية التي قامت في المغرب الأقصى على يد مؤسسها إدريس بن عبد الله الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، لكن ما فتئت وسقطت على يد عبيد الله المهدي مؤسس الدولة العبيدية (الفاطمية) وبذلك تشتت السلالة الإدريسية الشريفة عبر مختلف مناطق المغرب العربي باحثة عن نفوذ جديد لسلطتها وطلبا للملك. وهي الفترة التي تتزامن مع استقرار سيدي محمد بن يحي بمنطقة وادي ريغ. وهذا هو شأن كل دولة إسلامية قامت إلا وسبقها فكر روحي يمهد لقيامها. وهذا الرأي منطقي بل قد أضاف توضيحات وإثباتات للآراء التي تقر بأن سيدي محمد بن يحي الإدريسي وأنه قد قدم من المغرب الأقصى دون أن تبين المزيد من التوضيحات كما جاء بها هذا الطرح ولهذا فهو مقنع لحد ما إذ لم نقل تماما ويمكن العمل والاستناد به[1].

وبعد أن رأينا الاختلاف بين هذه الآراء فإن المتتبع لهذه الروايات يجد أن أغلبها تقر بأن سيدي محمد بن يحي الإدريسي ينسب إلى العائلة الإدريسية وذلك استنادا إلى مراجع ومصادر أثبتت ذلك، أما تلك التي نفت عنه النسب الإدريسي ولم تذكر مصادرها مرجعها ربّما لأنّ ابن سيدي محمد بن يحي هو الذي هاجر إلى ضواحي سطيف واستقر بها. وهذا ما أكده أحفاده بأن جدهم قدم من المغرب لكن ابنه هو من توجه نحو ضواحي سطيف، وقد كان أحفاده في زمن الاستعمار يأتون إلى تقرت لزيارة جدهم،لكن زيارتهم انقطعت اليوم ولا ندري السبب[2]. ومن هنا فإن سيدي محمد بن يحي الإدريسي هو ابن محمد السائح(الذي يطلق عليه اسم بن يحي إلحاقا بجده) بن أحمد بن علي بن يحي، وهنا نجد أن محمد السائح الذي يلقب بابن يحي قد سمى ابنه كذلك محمد بن يحي، ولهذا الأخير

[1] رضوان شافو،**بحوث و دراسات في تاريخ وادي ريغ**، ط1، دار قانة، باتنة، الجزائر، 2008م، ص ص80-81.
[2] معاد عمراني، المرجع السابق، ص15، نقلا عن مقابلة أجراها مع إدريسي الحاج(حفيد سيدي محمد بن يحي)، لحام، 2002/03/05م، تقرت.ينظر الملحق رقم (04) شجرة نسب سيدي محمد بن يحي الإدريسي.

إخوة هم سيدي عبد السلام[1]، وسيدي عبد القادر وسيدي عطا الله، كبر وترعرع في أحضان أبيه فحفظ القرآن الكريم و تفقه في الدين و أصبح رجلا صالحا. وهذا ما دعى الأهالي بوادي ريغ يطلبوه ويبايعوه على أنفسهم في المشيخة. وضريحه الآن بالنزلة بتقرت[2]، أما ضريح سيدي محمد السائح ببلدة عمر[3]. وقد كان سبب استقراره في منطقة وادي ريغ هو طريقه للحج كما رأينا مسبقا فقد كان يبيع ما فضل عليه من تجارته هناك ولكن لسوء ما شاهده بالمنطقة أراد إصلاح عاداتها بعد أن طلبوا منه سكانها عرض السلطة عليه[4]. أو بما أننا أثبتنا أنه ينتمي إلى السلالة الإدريسية فيمكن أن استقراره من أجل إحياء الدولة الإدريسية من جديد خاصة أنّ المنطقة كانت تعيش فراغا روحيا ولديهم قابلية لاحتضان علماء وأشراف قادمين من المشرق[5]. كما كان لسيدي محمد بن يحي تلاميذ مثل سيدي خليل وسيدي راشد وسيد سليمان وسيدي عمران....الخ هم أيضا أسسوا واحات تحمل أسماءهم، وساهموا في هداية العديد من القبائل الضالة إلى الدين الإسلامي[6]. كما كوّن سيدي محمد بن يحي الإدريسي بهم مجلس ينظر في قضايا جميع قرى ومداشر وادي ريغ سمي بمجلس رجال لملاح لإصلاح ذات البين والسعي للأعمال الخيرية و الدعوة إلى المشاريع ذات المنفعة العامة والمصلحة المشتركة[7]. وطول فترة حكم سيدي محمد بن يحي نعمت المنطقة بالأمن والاستقرار، وذلك يعود إلى نصائحه الحكيمة.

بعد فترة حكم هذا الأخير جاءت فترة حكم بني جلاب الذين يعود أصلهم إلى بني مرين حكام المغرب الأقصى وفي هذا الصدد يقول مولاي بالحميسي في كتابه الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني نقلا عن رحلة العياشي:"أما تقرت فهي

---

[1] هو أخ لسيدي محمد بن يحي توفي صغيرا في شبابه دفن بتقرت ثم بني بجواره مسجد سمي على اسمه مسجد سيدي عبد السلام بتقرت، ينظر: عبد القادر موهوبي، المرجع السابق، ص428.ينظر الملحق رقم (05) ضريح سيدي عبد السلام.

[2] ينظر الملحق رقم (06) ضريح سيدي محمد بن يحي الإدريسي.

[3] عبد القادر موهوبي المرجع نفسه، ص ص423-426.

[4] feraud cherls, op.cit, p164.

[5] رضوان شافو، المرجع السابق، ص82.

[6] feraud cherls, op.cit,p 165

[7] رضوان شافو،المرجع السابق، ص89.

قاعدة وادي ريغ ومعسكر أمراءها أولاد جلاب. هم أولاد الشيخ أحمد بن جلاب وأسلافهم من بني مرين"[1]. ويؤكد هذا النسب العديد من المؤرخين والرحالة مثل العدواني والشيخ محمد الطاهر بن دومة وشارل فيرو وغيرهم لكن طريقة وصولهم إلى الحكم فهناك عدة روايات مختلفة من بينها رواية العدواني الذي يقول:"وحكم تقرت وتماسين رجل من بني مرين أتى من فاس فكان يأتي إلى وادي ريغ ليبيع ما فضل من حجه وهكذا حتى أتاه أهل الواد وقالوا له:يا سيدنا لو سكنت بقربنا كان خيرا لنا ولك فقال نعم. بعدها أتى بأهله وماله و نزل بالمنطقة وكان له امرأتان فأنزل بواحدة في تقرت والثانية في تماسين وبنى لهما قصران وكان له ثمانون عبدا، فجعل لكل واحدة أربعين عبدا. وتدعى الأولى بدرة و الثانية بدرية[2]. وبمرور الزمن أصاب المنطقة جفاف شديد أدى إلى انتشار المجاعة فأصبح سكانها يقدمون على بيع أبناءهم وبناتهم كعبيد الحاج المريني والأسوأ- من هذا أصبحوا يبيعون حتى زوجاتهم و أنفسهم لأنهم لم يعد لهم شيء حتى صار الحاج مالكا لهم جميعا عندها أمرهم ببناء مسجد و بعد أن تم بناءه وعين فيه الإمام جمعهم لكي يحرر رقابهم لوجه الله تعالى. لكنهم من شدة فرحتهم لتحريرهم وكتعبير عن امتنانهم تجاه هذا الحاج الكريم قاموا بإعلان أنفسهم خدم أوفياء لهو بايعوه على الإخلاص له ولذريته. ولكن هذه الرواية بالرغم من استناد شارل فيرو عليها إلا أنها تبدو غير منطقية وفيها نوع من المبالغة، لأننا إذا عدنا إلى قضية الجفاف صحيح قد يؤدي إلى المجاعة والموت ولكن لا يؤدي إلى بيع الأبناء أو الزوجات أو النفس في حد ذاتها. بل كان بإمكانهم هجرة المنطقة مثل ما حدث في فترة النزاعات والصراعات كما شهدنا سابقا بمعنى أن هناك حلول أخرى غير هذا الحل. لكن الجفاف إذا عمّ بالمنطقة فكيف لم يؤثر في الحاج المريني نفسه

[1] أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي،ماء الموائد، تح.تق:سعيد الفاضلي و سليمان القرشي، مج1، ط1، دار السويدي للنشر و التوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2006م، ص ص120-121.
[2] محمد بن محمد بن عمر العدواني، المصدر السابق، ص ص139-140.

.... الخ من التساؤلات وبالتالي فإن هذه الرواية لا يمكن أن يعتمد عليها تماما في قضية نشأة الحكم الجلابي بالمنطقة[1].

كما استعرض لنا شارل فيرو رواية الجنرال دوماس من خلال كتابه الصحراء الجزائرية فيقول:"إن سلطان تقرت مات دمن ذرية فقامت نزاعات وحروب بين الأهالي وعندما وجدوا أنفسهم في صراع مميت لا غالب فيه، اتفقوا بالإجماع على أن أول رجل يدخل المدينة يعين سلطانا. وكان أول من وصلها رجل عربي من الصحراء وكان راعي غنم إلا أن القدر جعله ملكا. وهنا يوضح أن كلمة جلاب تعني راعي الغنم أو الإبل كما تعني تاجر العبيد، وهناك أيضا معنى آخر استدل من تاريخ العدواني بمعنى الرجل الذي يجلب الناس بفضائله أي المحسن، لكن هذه الرواية ليست منطقية كما تضعنا أمام تناقض بين المعلومات السابقة على أسلس أن آخر شيخ حكم تقرت قبل بني جلاب هو سيدي محمد الإدريسي، ودوماس يقول أن سلطان تقرت مات دون ذرية فكيف هذا وأن أحفاده لا يزالون ليومنا هذا وبالضبط بمنطقة النزلة. لكن الحل الذي وصلوا إليه ليس بفكرة منطقية تماما والدليل على ذلك أن شارل فيرو أقرّ بنفسه:عندما كنت أسير تحت نخيل تقرت رفقة طلبة وأشخاص آخرين فقصصت عليهم الرواية ضحكوا كثيرا من سذاجتها"[2].

أما الرواية الثالثة والأخيرة للشيخ محمد الطاهر بن دومة فيقول:"إن بني جلاب من بقايا بني مرين (...) نزحوا من الصحراء واستولوا على المغرب وتلمسان ولما سقطت دولتهم انتشر دعاتهم في الأقطار طلبا للملك. وسكنت طائفة منهم تاجمونت[3] على ضفة وادي مزي غرب الأغواط وكانوا يبعثون بتجارة الغنم إلى متليلي وورجلان أي ورقلة وذهبت طائفة إلى تقرت وتوغلانت[4] فكانوا يبيعون الغنم والمقابل إلى أجل ما، وعندما يعودون

---

[1] معاد عمراني، المرجع السابق، ص22.

[2] feraud cherls, op.cit, p168.

[3] تقع في ولاية الأغواط و تبعد عنها بحوالي 70كلم جنوبا، ينظر: معاد عمراني، المرجع السابق، ص25.

[4] توغلانت أو وغلانة تقع نواحي جامعة، ينظر: محمد الطاهر بن دومة، **مذكرة تاريخية لواحة تقرت و بعض ضواحيها**، تح.تق: عبد الجواد محمد الطاهر و بوبكر محمد السعيد، د.ط، المطبعة العصرية للوحات، تقرت، 1415هـ/1995م، 34.

في مرة أخره يأتون بغنم أخر ولا يجدون الثمن فيزيدون أجل آخر، وهكذا حتى جاء أحمد الجلابي بنفسه وهو في طريقه إلى الحج. فطلب حقه من السكان لكنه وجد حالتهم على ما هي، كما أنه وجد أملاكهم لا تكفي لدفع ما عليهم من ديون فشكاهم إلى السلطان سيدي محمد بن يحي الإدريسي فجمعهم وأمرهم بدفع ما عليهم من دين فقالوا له فليأخذ أملاكنا مقابل الدين فقال لا تكفي، قالوا خذ ما بقي منه من السكان عبيد لك. فقال أصبروا حتى أعود من الحج، لكنه جمع أمرهم على أن يملكوه سلطان على الواحة وذلك سنة (937هـ /1531م) بعد أن سلّمها له سيدي محمد بن يحي وحين رجع من حجه دخلت المنطقة في حكم بني جلاب بعدها أستقدم ابنيه من تاجمونت وقسّم الحكم بينهما وصار أحدهما في تقرت والآخر في تماسين وصار لكل منهما أنصاره"[1].

أما من حيث التأسيس فهناك من يعتبر أن أحمد الجلابي هو مؤسس الحكم الجلابي بالمنطقة[2] وهناك من يرى أن سليمان بن جلاب هو المؤسس الأول[3]، أما من حيث عدد الأفراد الذي حكموا المنطقة فهناك روايات عديدة في هذا الشأن. وكما لم يتفق المؤرخون على تاريخ محدد لقيام الحكم الجلابي بالمنطقة[4].

[1] محمد الطاهر بن دومة، المصدر نفسه، ص ص34-35.
[2] معاد عمراني، المرجع السابق، ص26.
[3] feraud cherls, op.cit, p169.
[4] معاد عمراني، المرجع السابق، ص29. للاستفادة أكثر راجع نفس المرجع.

1/التركيبة البشرية:

سكن إقليم وادي ريغ عبر المراحل التاريخية العريقة قبائل وأجناس كثيرة متداخلة في أنسابها وأصولها[1] وجمعتها ظروف الحياة ووحّدتها مميزات وتقاليد اجتماعية واحدة وبهذا التمازج والاختلاط في المقام والسكن والمصاهرة والمجاورة صعب علينا التمييز بين الأصول والأنساب، ولولا بعض المصادر التي تحدثت عن الإقليم ما كان لنا أن نعرف الأصول العرقية والاجتماعية لسكان وادي ريغ فاعتمدنا على تاريخ ابن خلدون وكتاب الطبقات للدرجيني وبعض الكتابات المحلية، ومن خلال المقارنة بين النصوص التي وردت في المصادر يمكننا أن نعيد أصول سكان وادي ريغ إلى ثلاثة عناصر أساسية تولد عنها عنصر رابع وهذه العناصر هي: البربر أو الرواغة، العرب، الزنوج، والمولّودون[2]، وتمثل العناصر الثلاثة لسكان وادي ريغ بداية بـــالرواغة (الحشاشنة). والرواغة نسبة إلى وادي ريغ وهم سلالة من قبيلة زناتة البربرية تسمى بهم الإقليم. ثانيا العرب وهم تلك الأجناس التي وفدت من مختلف الجهات خاصة الزيبان، الجريد التونسي، المغرب الأقصى، إضافة إلى الذين جاءوا مع اجتياح قبيلتي هلال و سليم هم يشكلون أغلب سكانه، منهم من تمدن منهم من حافظ على حياة الحل والترحال. ثالثا وأخيرا: الزنوج، وهم العبيد الذين جيء بهم من أعماق إفريقيا في زمن تجارة الرق حيث كان سوق تقرت مثل ورقلة يشكل نقطة عبور هامة في هذه التجارة. مع تعاقب العصور التاريخية وتمازج هذه الأجناس البشرية الثلاثة نتج عنصر جديد، سمي بـــالمولّدين وهم خليط بين الرواغة والعرب والزنوج نتج من التزاوج والتصاهر فيما بينهم. ويقول عبد الحميد قادري في كتابه التعريف بوادي ريغ:"أنه بطول الزمن وتعاقب الأجيال اندمجت هذه العناصر الثلاثة

---

[1] /نجاح عبد الحميد، **منطقة ورقلة و تقرت و ضواحيها منطقة وضواحيها**...، د.ط، الآمال للطباعة، منشورات جمعية الوفاء للشهيد، تقرت، الجزائر، 2003م، ص75.

[2] /قادري عبد الحميد إبراهيم، **التركيبة البشرية لسكان وادي ريغ أيام بني جلاب**، أعمال الملتقى التاريخي الثالث حول فترة حكم بني جلاب بمنطقة وادي ريغ أيام 23ـــ24أفريل 1998م، منشورات جمعية الوفاء للشهيد، تقرت، الجزائر، د.ت، ص20.

في بوتقة واحدة وأصبحت تشكل مجمعا واحدا متماسكا يعمر القرى و القصور على امتداد الوادي، وانمحت ولم يعد هناك فوارق جوهرية بين هذه الأجناس"[1].

أما في تقرت جماعة من الناس يسمون المجاهرية وهم يقطنون حيا خاصا في البلدة، وقد كانوا في القديم يهودا على ما يروى ولكنهم اعتنقوا الإسلام فرارا من الموت الذي هددهم به السكان[2]، وهم الآن مواظبون على قراءة القرآن ويحفظونه على ظهر القلب وما زالوا يتميزون بالملامح الخاصة باليهود وهم لا يتزاوجون مع العرب ومن النادر أن يتزوج عربي بامرأة من المجاهرية ولهم مساجد في حيهم من البلدة وهم يصلون في المواقيت المحددة ما عدا يوم الجمعة فإنهم لا يعتبرونه يوم عطلة. ولهم ثروة هائلة ونساءهم تظهر في الأسواق محجبات ويتحدثن بالعبرية بينهن عندما يرغبن في إخفاء موضوع الحديث[3] زيادة على سكان مدينة تقرت توجد عشائر بدوية التي كانت تجوب المدينة كما رأينا سابقا من أهمها قبيلة سعيد التي ظهرت بالمنطقة في القرن الثالث عشر ميلادي على الأرجح وكانت تتفرع في العهد العثماني إلى فرعين رئيسيين الأول يضم أولاد مولود الذين توطنوا نواحي تقرت وسعيد عتبة بنواحي نفوسة. أما الفرع الثاني فهو يتكون من عشيرتين هما سعيد عمر المستقرين بتماسين وحجيرة والمخادمة المنتشرين بين ورقلة والرويسات[4]. كما يبلغ تعداد سكان تقرت وتوابعها حوالي خمسة آلاف نسمة. أما فون مالتسان فيقدرها مع القرى المجاورة لها بحوالي ثلاثة آلاف نسمة وكلهم من الأهالي[5]. وهم خليط من السود والبيض، كما هو حال جميع سكان وادي ريغ ويتميز العرق الأبيض

[1] نجاح عبد الحميد، المرجع السابق، ص ص75ـــ77.
[2] الأغواطي الحاج ابن الدين، **رحلة الأغواطي في شمالي إفريقية و السودان و الدرعية**، تر:أبو القاسم سعد الله، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م، ص264.
[3] الأغواطي الحاج ابن الدين، المصدر نفسه ص264.
[4] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص ص524ـــ525.
[5] هاينريش فون مالتسان، المصدر السابق، ص178.

من السكان بالضعف وعدم التحمل بينما يتميز السود الذين تم جلبهم في القوافل بمقاومة المناخ[1].

أما بالنسبة للحالة الصحية لأهالي أو سكان وادي ريغ فإنها لم تكن بالجيدة، وذلك للأمراض الرهيبة التي كانت تسود المنطقة وتنتشر بها بسبب التلوث الذي كان يحدث بجانب المستنقعات نتيجة الغطاء النباتي، مثل حمى المستنقعات ولا يرضى بالسكن فيها سوى القانع بالحياة البسيطة فرارا من الطغاة[2]، وكذلك الأوبئة التي تصيب عددا كبيرا من السكان والتي لم يكن بوسع الأجانب التخلص منها والدليل على هذا ما جاء في قول العدواني بأن الجيش العربي (جيش عقبة) عندما اتجه من بسكرة نحو تقرت التقوا في طريقهم بأناس متجهين شمالا هروبا من هذه الأمراض السابقة الذكر عندها عاد العرب أدراجهم لدى رؤيتهم لمشاهد الموت هناك لأولئك الناس الذين أهزلت الحمى أجسادهم، وهذا التأويل شبه معقول ولكن أن يكون سبب عودتهم هو شيء أخر وهو أن العرب عند وصولهم إلى المدخل الكبير للهضاب المطلة على المستنقعات المحلية الهائلة لشط ملغيغ و رؤيتهم للسهوب الصحراوية التي تمتد نحو المجهول كأنها بحر قد جفت مياهه لم يجرؤا على المجازفة بعبور هذه الأرض الغامضة والغريبة المعالم[3]. وعموما إن جو مدينة تقرت غير صحي إلى أبعد حد و هذا ما أثر على صحة السكان إذ تنتشر الحمى في جميع الشهور تقريبا و يقال أنها لا تريح الناس من شرها إلا في فصل الشتاء، و جو الواحات الصحراوية كلها غير صحي مثل جو تقرت، في حين أن الصحراء الحقيقية أي التي تخلو من الواحات تتمتع بجو صحي بصفة عامة و من أراد أن يشفى من الحمى فإن عليه أن يضرب خيمته في الصحراء لفترة طويلة، وشبه مالتسان هذا الجو بجو مصر لأنه رأى الناس يذهبون إلى الصحراء ليشفوا من أمراض العيون التي تتسبب فيها جراثيم الطمي و

[1] feraud cherls, op.cit, p59.
[2] محمد الطاهر بن دومة، المصدر السابق، ص9.
[3] feraud cherls, op.cit, p 62.

لهذا فإن جو الصحراء صحي في كل مكان أما الواحة فعكس ذلك لأن آبارها الإرتوازية تجود بماء غزير يفوق حاجة الناس إليه فنشأ عن الفائض منه برك و مستنقعات تتولد عنها الجراثيم الخطيرة وهي سبب انتشار الحمى بين السكان[1].

أما بالنسبة لرجال الحشان فهناك عدة روايات حول أصل هذه التسمية فحسب رأي العدواني في تعليق لفيرو وهو"أن الحشانة أو رجال الحشانة هم سكان وادي ريغ، ويعود أصلهم حسب الروايات الشعبية إلى الحشان رفيق سيدي عقبة أثناء الفتح (حسان) وقد تحرّف الاسم من حسان إلى حشان. وقد عرف حشان بالشجاعة وجزاءا له أعطاه عقبة حكم المنطقة من بسكرة إلى ورقلة وقد استقروا في وادي ريغ. وبناءا على الأسطورة الشعبية فإن الحشان مدفون في بلدة سيدي عقبة"[2]. أما الشيخ محمد الطاهر بن دومة يقول: "أن رجال الحشان هي كلمة تطلق على سكان وادي ريغ و تم إطلاقها أول مرة على الفلاحين الذين اشتغلوا بجلب فسائل النخيل (الجبار) من منطقة الزاب في ذلك العهد حسب لغة البربر التي هي كانت سائدة في هذه المنطقة فيقال (آريازان تيزداي) أي رجال النخلة. وهم يعتقدون أن النخلة لها تأثير في الوجود بتصريف الروح وهذا الاعتقاد لا يزال منتشرا بين المسنين منهم"[3].

1ـــ1/الطبقات الاجتماعية:

بعد التطرق إلى التركيبة الاجتماعية لمجتمع وادي ريغ، فيما يلي محاولة لدراسة ملامح وسمات الطبقات الاجتماعية التي كان يتكون منها المجتمع الريغي والمركز الاجتماعي الذي تحتله كل طبقة من الطبقات.

---

[1] هاينريش فون مالتسان،المصدر السابق، ص154.

[2] محمد بن محمد بن عمر العدواني، المصدر السابق، ص260.

[3] محمد الحاكم بن عون، **أخبار وأيام وادي ريغ للشيخ محمد الطاهر بن دومة**(1336ـــ1403هـــ/1918ـــ1982م)، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، علم المخطوط العربي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة منتوري بقسنطينة، الجزائر، 1431ـــ1432هـــ/2010ـــ2011م، ص ص69ـــ70.

*الطبقة الحاكمة: تتشكل هذه الطبقة الحاكمة من الأعيان الذين يتولون رئاسة القصور والقرى وتتم توليتهم من قبل أمراء الزاب والسلاطين في العهود الأولى، أو من طرف بايلك الشرق في العهد التركي، وتتميز هذه الطبقة عن غيرها في طريقة عيشها إذ تمثل الطبقة الأرستقراطية بأتم معنى هذا المصطلح فلهم الخدم، والأعوان والعمال المسخرون لخدمتهم وخدمة حريمهم ورعاية أطفالهم وتسليتهم.

*الأشراف: وهم الذين ينتمون إلى الأسر والعائلات التي تدّعي الانتماء إلى بيت النبوة ويزعم أكثرهم أنهم وفدوا على المنطقة من الساقية الحمراء والمغرب الأقصى موطن الأشراف ومهجر إدريس الأول المؤسس لدولة الأدارسة بالمغرب وباعتبارهم من أهل البيت في نظر الأهالي والسكان فهم حماة الدين فاكتسبوا الاحترام والتقدير والجاه فالكل كان يطلب ودهم ورضاهم و التقرب منهم لنيل البركة والفوز بدعائهم حتى ظنّ البعض أنهم لا يسألون عما يفعلون، وظنوا أن هذا التبجيل والتقديس والهبات والعطايا التي يأخذونها من الغير واجبة وحق من حقوقهم التي أعطاها لهم الدين[1]. أما سبب وجودهم بهذه الربوع حسب الروايات والأخبار الشفوية التي وضعوها مع بعض الإشارات التي وردت في بعض المصادر التاريخية فإن وادي ريغ كان طريقا يمر عليه الحجاج المغاربة وغيرهم في ذهابهم وإيابهم من الحج كما شهدنا مسبقا ومنه فقد اختار بعضهم الإقامة النهائية بالمنطقة ثم جاء أبناؤهم من بعدهم. وقد تزايد عددهم وأصبحوا يشكلون متميزة لها شأنها وتأثيرها على سكان المنطقة فلا يرد لهم طلب[2].

*الأغنياء: هذه الطبقة التي تملك العقارات من بساتين النخيل ودور السكن وهم أصحاب الحل والعقد قي قراهم وقصورهم وأحياءهم، يستمدون قوتهم من جاههم ومكانتهم المرموقة لدى السلطات الحاكمة التي تخول لهم أن يقررون نظام الحياة الذي يسود البلد الذي يعيشون فيه ويتميزون عن غيرهم بحسن التدبير والدهاء والقدرة على تسخير اليد

[1] عبد الحميد إبراهيم قادري، المرجع السابق، ص ص28ـــ29.
[2] عبد الحميد إبراهيم قادري، المرجع السابق، ص ص28ـــ29.

العاملة والهيمنة على الأوضاع، فبذكائهم يستطيع الرجل منهم أن يسخر عائلة كاملة بأفرادها لخدمته وخدمة أهل بيته فهم لا يقلون مكانة الحكام إذ يتصدرون المجالس ويمثلون أحياءهم وقراهم أمام الحكام والمشائخ[1].

*العمال والأجراء: وهم العمال الخماسين الذين يعملون في بساتين النخيل، وأكثر الذين يحترفون حرفة الخماسة يعيشون حياة عملية دائمة بحيث يخدمون الأرض ويقومون بري البساتين في الليل كما يشرفون على البهائم والمواشي فيعلفونها ويسقونها، وأكثر من ذلك حيث يحتطبون الحطب لأرباب العمل، وعقد العمل بين الخماس ورب العمل يقوم على تنفيذ هذه الشروط المذكورة مع تحديد المدة الزمنية التي تمتد من أول يوم في فصل الشتاء إلى آخر يوم في فصل الخريف مقابل أن يأخذ العامل من رب العمل خمس ما تنتجه الأرض أو أشجار النخيل أو مقابل أجر محدد. وهؤلاء لا دور لهم في الحياة الاجتماعية سوى دور العمل والتنفيذ[2].

1ـــ2/النظام الاجتماعي:

يتكون الإقليم كما أسلفنا من قرى وقصور منتشرة عبر الوادي وهذه القرى والقصور والمداشر تكون وحدة جغرافية اجتماعية واقتصادية وعمرانية متشابهة تحكمها عادات وتقاليد وأعراف، فكل قصر أو مدينة أو قرية تضم داخلها مجموعة من السكان متقاربين بالجوار والمصاهرة ربما النسب القريب ولذلك فإن كل قصر أو غيره من القرى عبارة عن وحدة إدارية مستقلة عن القصور أو القرى الأخرى إلا فيما يخص الضرائب والإتاوات التي تجبى إلى حاكم الإقليم وسلطانه الذي ينقلها بدوره إلى السلطة المهيمنة.

[1] عبد الحميد إبراهيم قادري، المرجع نفسه، ص29.
[2] عبد الحميد إبراهيم قادري، المرجع نفسه، ص29.

وبحكم النظام السائد فقد كان كل بلد له أملاكه من النخيل ومكانته الخاصة به بنيانه المتجمع في كتلة واحدة على ربوة يحيط بها خندق واسع يليه سور بأربعة أبواب رئيسية بحيث تستطيع البلاد الدفاع عن نفسها والتحصن به وصد الغارات. و كل بلد يدير شؤونه أموره شيخ البلد، يساعده في ذلك الأعيان ورؤساء الأسر وكبار الملاك، ومن مجموع القرى والمداشر والقصور تتكون المنطقة التي يشرف عليها أمير في العصور المتقدمة ثم تحول إلى سلطان أو شيخ في العهد التركي عهد بني جلاب[1].

ووظيفة شيخ البلاد هي البث في الشؤون الاجتماعية ذات الطابع اليومي وفض المنازعات بين الفلاحين والرعايا والتحكم في توزيع الأراضي والمياه، كما يمثل بلده في مجلس رجال لملاح بعاصمة الإقليم لدى أمير الإقليم أو سلطانه، ويساعده (السلطان) في مهامه اليومية الجماعية المتكونة من بيضة أهل البلد (الجماعة) والاعتماد عليهم في فض المنازعات بأنواعها على أساس العرف الذي تعارف عليه القوم أب عن جد، وحكم الجماعة لا يطعن فيه مهما كانت طبيعته ودرجته خاصة إذا رجحه الشيخ، وسلطة شيخ البلد مطلقة خصوصا إذا كان معينا من قبل السلطة المهيمنة على الإقليم أما إذا كان معينا ومختارا من طرف الجماعة فيستمد سلطته منهم ويعود إليهم في كل أمر ذي بال[2].

1ـــ3/بعض صفات سكان وادي ريغ:

عرف أهل وادي ريغ بإخلاصهم ومحافظتهم على الأخلاق الإسلامية السمحة ويظهر هذا السلوك في تقديسهم لرجال الدين الذين يحتلون في قلوبهم مكانة مرموقة من الاحترام والتقدير إلى درجة الاعتقاد الفاسد في بعض الحالات، حيث لا يخلو قصر من قصورهم ولا قرية من قراهم من جامع للصلاة وضريح للزيارة والتبرك ومن شدة تعلقهم بمشايخهم

[1] عبد الحميد إبراهيم قادري، المرجع السابق، ص ص29-30.
[2] عبد الحميد إبراهيم قادري، المرجع نفسه، ص30.

وعلمائهم تصبح قبورهم بعد وفاتهم مزارات تشد إليها الحال من كل جهة[1] وكانوا حريصين الحرص كله على الاحتفالات بالمناسبات الدينية، كإحياء ذكرى المولد النبوي الشريف والاحتفال بيوم عاشوراء ورأس السنة الهجرية ، ومن حبهم لدينهم سهروا على تحفيظ القرآن الكريم لأبنائهم والإقبال على حلقات الدروس المسجدية. ولذلك استقدموا العلماء إلى قصورهم وقراهم من المناطق المجاورة وربما من بلاد الجريد والمغرب واستضافوهم لعمارة مساجدهم بالعلم يتعلمون منهم أصول الدين والفقه. ومن الطباع التي تميز بها سكان واد ريغ كرم الضيافة وحسن الطويه في استقبال الوافدين عليهم والنازلين بديارهم فيجزلون لهم العطاء ويبذلون قصارى جهدهم في حسن استقبالهم والإنفاق عليهم بما عندهم ويفتحون لهم بيوتهم إلى درجة الغفلة والسذاجة فربما ضحى المرء منهم بمصلحة أهله وأقربائه من أجل مساعدة وإرضاء الغريب[2].وفي هذا الصدد يقول حسن الوزان:"يحب أهل تقرت الغرباء جدا ويستضيفونهم في بيوتهم بالمجان، ويفضلون أن يزوجوا بناتهم للغرباء من أن يزوجهن أهل البلاد، ومن عاداتهم أن يمنحوهن مهرا مكونا من عقارات. كما هو الشأن في أوروبا. ويقدمون أيضا هدايا هامة إلى الغرباء ولو كانوا يظنون أنهم لن يعودوا إليهم أبدا، وذلك لفرط كرمهم"[3]. وهذا الأمر أشار أليه حتى صاحب ري الغليل في مخطوطه و سماه التضامن مع عابر السبيل فيقول:"فمهما تعددت أجناسهم وألوانهم حيث يتم الترحيب بهم وضيافتهم وإكرامهم والتضامن معهم ماديا ومعنويا هذا إن كانوا في حاجة إلى المساعدة، فنحن عندما تعبت أرجلنا ولم نعد نستطيع المشي ولا التقدم خطوة واحدة، أتى إلينا رجل اسمه سيدي حمودة من سيدي بوعزيز وقال لنا إنه هناك رجل تركي أتى من وادي سوف، وقيل أنه يعرف الطب لعله يساعدكم ...، أما في المغير استضافنا مرابط يقال له سيدي مبارك الصايم فأكرمنا غاية الكرم. وعن

[1] عبد الحميد إبراهيم قادري، المرجع السابق، ص30.
[2] عبد الحميد إبراهيم قادري، المرجع نفسه، ص ص30ـــ32.
[3] حسن الوزان بن محمد الفاسي، المصدر السابق، ص136.

الكرم والجود هناك زاوية بسيدي خليل تطعم كل من أتى إليها من غير دارها"[1]. وبهذه الطباع جعل الأقوام من جهات أخرى يفضلون مجاورتهم والتعامل معهم ، ولذلك فلما نجد منطقة من المناطق في الجزائر اجتمعت بها الأقوام من كل جهة، كما اجتمعت واستوطنت بمنطقة واد ريغ والزيبان، فمن ينزل بهده الديار يستطيع أن يملك الأملاك والعقارات في أقصر مدة ويصبح منهم ولهم[2].

ويؤكد هذا القول العياشي:"(...)بل جل أهل البلاد من فقهاء أهل البلد و غيرهم لهم نيات صالحة وأخلاق حسنة، عريون من التكبر والعجب وأشباه ذلك. ولأمير البلد حكم نافد في أهل مملكته والأعراب الذين يريدون عليه. وقد ضاع لنا جملان ليلة رحيلنا فبلغ الخبر إليه فأخذ الذي جاء يطلب البشارة وحبسه وبعث المرسل حتى أتوا بالإبل"[3].

إلى جانب هذه الخصال الحميدة لا يخلوا الفرد منهم من بعض الطباع الذميمة الموجودة في كل مجتمع كالمكر وعدم الوفاء لحكامهم ومشايخهم حيث يخفونهم عندما يكونون تحت سلطتهم ويحتقرونهم إذا شعروا بضعفهم أو عزلوا عن مناصبهم، كما أنهم يجلون العالم. ليس منهم ويفضلونه عن غيره ولو كان أقل علما أو إن الحاكم منهم لا يهابونه ولا يساعدونه وربما دسوا له الدسائس فلا يستقيم له حكمهم[4].

[1] رضوان شافو، **الحياة الاجتماعية بوادي ريغ من خلال مخطوط ري الغليل...**،أعمال الملتقى الوطني حول الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين(12-13هـ/18-19م)من خلال المصادر المحلية، أيام24-25جانفي2012م، د.ن، المركز الجامعي بالوادي، الجزائر، د.ت، ص ص26-30.

[2] عبد الحميد إبراهيم قادري، المرجع السابق، ص ص30ــ32.

[3] أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي،المصدر السابق، ص122.

[4] عبد الحميد إبراهيم قادري، المرجع السابق، ص ص32ــ33.

2/العادات و التقاليد:

تشكل قرى أو مدن وادي ريغ وحدة بشرية متجانسة ومتماسكة، بحيث جمعتها ظروف الطبيعة، ووحدتها طريقة العيش وأسلوب الحياة، وبالتالي ما من مجتمع إلا وله عادات وتقاليد اجتماعية تترجم علاقته بالحياة وتحدد نظامه الاجتماعي، وبطبيعة الحال أن هذه العادات والتقاليد منها ما هو ايجابي ذو طابع حضاري، ومنها ما هو سلبي ويجب تهذيبه والتحرر منه، وتنقية المجتمع من كل شوائبه التي علقت به عبر الدهور والأزمان[1].

2ـــ1/المأكل:

من أشهر المأكولات لدى سكان وادي ريغ وأفضلها هي الكسكسي وهذا الأخير يصنع من دقيق القمح الصلب يصنع بوسائل خاصة، ويطهى علي البخار، وللكسكسي أنواع وكل منطقة تحضره بطريقة خاصة[2]، ويقدم إما مسقيا بالمرق أو جافا مرطبا بالسمن ومنها:

*المسفوف: يحلى بالسكر و يرطب بالسمن البلدي و يخلط مع الزبيب، و يأكل عادة مع البطيخ أو مع الحليب، وعادة يصنع في شهر رمضان لوجبة السحور.

*كسكس أحمر: وهو كسكس يسقى بمرق أحمر محضر بالقرعة والخردل والبطاطا والطماطم الطازجة والمصبرة والفلفل الأحمر المسحوق بالإضافة إلى بعض التوابل الأخرى مع اللحم.

*البندراق: كسكس يأكل بعقدة البندراق وهي نوع من العشب المورّق، تقطع إلى قطع صغيرة ثم توضع في مرجل طيني أو معدني (قدر) على نار خفيفة ويضاف إليها الفلفل بنوعيه اليابس المكسر والحار واللحم وأحسنه لحم الجمل، بالإضافة إلى البطاطا والفول

[1] عبد الحميد إبراهيم قادري، المرجع السابق، ص33.
[2] ينظر الملحق رقم(07) الأكلات الشعبية.

والقرعة واليقتين، وعندما تطهى تسحق حتى تتعقد[1]، وأطيب هذه الأكلة عندما تطهى بلحم القديد الذي يرقد بالسمن أو الشحم، وهذا النوع لا يحظى به إلا البيوت الغنية، لحب أهل تقرت لهذا الصنف من الأكل أصبحوا يستعملونه حتى في ولائم الأعراس.

*كسكس بالسبانخ: (البطراف) هو نفس الطريقة التي يتم بها تحضير كسكس البندراق، لكن لا يساويها في الطعم والمذاق[2].

*الحبات أو المفورة: هذا الصنف من الكسكسي تكون حباته تخينة نسبيا، ينضج على البخار يخلط الكسكسي بالخضر الطازجة من طماطم وفلفل وبصل أخضر ويرطب بالسمن أو الزيت ويقدم للأكل مع اللبن.

*المرشومة: نوع من الكسكسي حباتها قريبة من حبات المفورة لكن تسقى بمرق أحمر محضر بالبصل والطماطم والفلفل وبعض التوابل.

*العيش:(المردود، بركوكس) هذا الصنف نوع من الكسكسي حباته خشينة، تحضر مرقه بالطماطم، والفلفل والهرماس(المشمش الجاف اليابس) والفول والحمص وبعد نضج المواد تضاف إليها حبات العيش ويترك على النار قليلا حتى تتفاعل المواد مع حبات العيش، وأحسنه ما كان مطبوخ مع لحم الرأس، ويكثر استعماله أيام الشتاء.

*المختومة: وتسمى في بعض الجهات المحجوبة، وهي طبقتان من الكسرى البلدي بينهما عقدة مكونة من البصل والفلفل والطماطم والتوابل، تطهى على طاجين من الطين أو الحديد.

*الرفيس البلدي: وهي كسرة الرخساس معجونة بالسمن تكسر وتسحق حتى تتحول إلى حبات رقيقة ثم تخاط بالسمن والعسل النحل أو السكر ثم تقدم للأكل في المناسبات

[1] عبد الحميد إبراهيم قادري، تقرت البهجة...، ص176.
[2] عبد الحميد إبراهيم قادري، المرجع السابق، ص ص176ـــ177.

خاصة في الأعراس والأفراح. إضافة إلى هذا النوع نوع آخر يسمى بالرفيس التونسي وهو عبارة عن دقيق قمح صلب محمص على النار ثم تعجن مع تمر الغرس والسمن العربي وذرات من القرفة ثم يقدم للأكل ويكون زادا للمسافر أو هدية للأقارب والأحباب[1].

ويؤكد على هذا ما جاء به فون مالتسان في رحلته أنه عندما بلغوا قرية نسيغة القريبة من شط ملغيغ قدم لهم طبق من الكسكسي وكذا في قرية تندلة استضافهم أحد شيوخها الذي هو زميل سيدي عمر رفيق الرحلة بطعام جهنّمي هكذا وصفه مالتسان وهو كسكس فوقه كثير من الفلفل و كذلك قرية سيدي راشد التي تناولوا فيها طعام بالعسل، كما قال أيضا أن عرب الصحراء عرفوا بالكرم أكثر من عرب التل[2].

إلى جانب كل هذه المأكولات يضف عبد القادر نوحة أن سكان المنطقة كذلك أكلوا الجمار وبعض الحيوانات الأخرى غير الماشية والإبل مثل أسماك الخنادق، ومن الحشرات الجراد، ومن الزواحف سمك الصحراء(الشرشمان)، ومن الطيور الحمام والعصافير.

أما بالنسبة إلى المشروبات فقد عرفت المنطقة بما يسمى بـــاللاقمي وهو مشروب يستعصر من النخلة فيتناوله الناس حلوا صافيا باردا[3]. و يؤكد هذا الأغواطي في كتابه رحلة الأغواطي أن سكان تقرت يتناولون مشروب شائع بينهم يسمى اللاقمي وهم يستخرجونه من فروع النخيل وذلك بقطعها والضغط عليها، والواقع أن هذا العصير يستخرج من الجمار وهو قلب النخلة وليس كما ورد في العبارة، وهذا المشروب ذو مذاق حلو كما يباع بمكاييل في الأسواق[4].

---

[1] عبد الحميد إبراهيم قادري، المرجع نفسه، ص ص177ـــ179.

[2] هاينريش فون مالتسان، المصدر السابق، ص ص139ـــ143.

[3] عبد القادر نوحة، **ستارة بين أمجاد الماضي و حواضر اليوم**...، ط1، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر، 2011م، ص46.

[4] الحاج ابن الدين الأغواطي، المصدر السابق، ص265.

2ـــ2/اللباس:

عرفت المنطقة بلباس البرانس، الفشاشيب(الجلابات)، الجبات(القنادير)، السراويل الفضفاضة المعروفة بالسراويل العربية، وكانوا كما هو اليوم يضعون على رؤوسهم شاشيات صوفية منسوجة محليا وأحذيتهم كانت وبرية تعرف في بعض المناطق بالعفافين مثل منطقة وادي سوف، غير أن الكثير عاشوا حفاة[1]. ويقول فون مالتسان عن البرنوس أنه هو الشائع عندهم ويرتديه خاصة الشيوخ الكبار فهو يعطي هيبة وشخصية لصاحبه وذلك عندما ذكر في بداية رحلته بأن سيدي عمر مرافقه في الرحلة عندما التقى به أول مرة كان يرتدي ثلاثة برانس بيضاء تلوح على ملامحه سيماة النبل، وكذلك عندما دخلوا قصر بني جلاب بمدينة تقرت قابلوا حاكمها وقال فون بأنه كان في حوالي الأربعين من عمره وكان هو وثلاثة أو أربعة من الجالسين بقربه يرتدون برانس بيضاء تلوح من وجوههم سمة الوقار عموما[2].

كما لم يحظ كل الناس بما ذكرناه من لباس وكثير منهم كانوا يستعملون بذلة واحدة طوال السنة و أن البذلة وقتئذ كانت قندورة و سروال، ربما يعود السبب إلى أن المستوى المعيشي العام لدى السكان لم يكن كطبقة الأشراف أو الأغنياء على أساس كما ذكرنا سابقا أن أغلب السكان كانوا يعملون خماسين وهم الذين دورهم العمل و التنفيذ فقط. و غالبا ما تكون القندورة فقط تلبس نهارا و تغسل ليلا، أو لا تغسل إلا بعد أيام. وإذا احتاج الفقير إلى سروال و لم ينله يربط قندورته من الأسفل و تكون قندورة و سروال في آن واحد، ومن سعف النخيل صنعوا مظلات يضعونها على رؤوسهم في فصل الحر[3].

[1] عبد القادر نوحة، المرجع السابق، ص42.
[2] هاينريش فون مالتسان، المصدر السابق، ص ص125ـــ152.
[3] عبد القادر نوحة، المرجع السابق، ص42.

2ـــ3/المناسبات الاجتماعية و الطقوس الدينية:

*الزواج: يتم الزواج عموما في مدن وقرى واد ريغ بصفة متشابهة ومتقاربة ومن بين هذه القرى نأخذ الزواج في بلدة عمر حيث كان يتم ربطه بما ما يعرف بعيد النخلة وهذه الأخيرة يحتفل بها مرتين في السنة بمثابة تبرك وشكر لله على نعمته، العيد الأول يسمى زيارة النخلة ويكون لظهور بشائر الغلة(الغيوان)، والعيد الثاني يسمى المبيت ويكون عندما يكثر نوع من منتوج التمور يسمى بالمنقر وهو بداية نضج التمر. وفي هذه المناسبة السنوية كانت تتم فيها خطوبة الفتيات، فكل شاب يرى فتاة تعجبه ورغب في الاقتران بها يستغل مناسبة زيارة النخلة فيقدم لها شيء مما يباع في معارضها يقال له(تعقادة) أي كأنه يضع عليها كلمة، في حين أن الفتاة إذا قبلت بتلك العطية قبلت بشاب خاطبا وزوجا لها في المستقبل، ولا يكون ذلك إلا بعد أن تصرح لأمها بصاحب العطية فإذا قبلت الأم بالخطوبة تحتفظ الفتاة بالعطية وإذا رفضت ترد العطية عن طريق أمه أو أحد أقاربه بمعنى رفضت الخطوبة[1].

عند اقتراب موعد الزواج يقدم للعروس ما يسمى بالدفوع وهو ما يعرف بصداق وفي بعض المناطق يعرف بشرط كما كانت تتم مدة الزواج أنذاك أربعة عشرة يوما كالأتي:

اليوم الأول:أهل العريس يكونون قد أعلنوا للناس والجيران أنهم في يوم كذا سوف ينثرون في البداية الغرس من نوع دقلة نور مهيأة من قبل ويفترشون الحصائر وعليها تنثرون التمر تحت وقع الزغاريد والتهليل والتكبير والحاضرون يتخاطفون على ذلك التمر.

اليوم الثاني والثالث ينتظر فيه وصول الخبر لكل الناس على أن العرس قد بدأ أي أن جميع الناس قد علموا ببداية العرس أو وزاج ومساء اليوم الثالث يخرج القصادون[2]

[1] عبد القادر نوحة، المرجع نفسه، ص46.

[2] هم فرقة المدائح الدينية ظهرت بظهور الطروقية في الجنوب الجزائري حيث أصبحت تسمى بالقادرية وأخرى بالعزوزية و تقام في الأفراح و المناسبات و تكون مصحوبة بضرب الدفوف و الطبلة، ينظر: محمد الطاهر عبد

بالعريس إلى مجلس خاص به مع رفقائه بعد أن يتم إلباس العريس بطريق خاصة تقليدية[1]، كما يتوجهون به إلى المسجد بالتهليل والتكبير وكذا يزورون به بعض الأماكن من منطقته[2].

اليوم الرابع هو يوم خاص للحناء والزيارات، حيث يتم فيه زيارة قبور وأضرحة مشائخ وأولياء منطقة وادي ريغ بجموع من الشباب مع العريس والعروس.

اليوم الرابع والخامس والسادس وفيه تقوم العروس بالتوجه إلى أغلب منازل وبيوت البلدة تعريفا بزواجها وإعلانا عنه.

اليوم السابع هو يوم الاقتران أي تزف العروس[3] إلى عريسها بما يعرف بالحجبة وتقضي هناك مدة أسبوع، وتسمى بالسبوع. وفي اليوم الثالث عشر تقام فيه وليمة من قبل أهل العريس وتحضر أطباق تقليدية مثل المختومة وغيرها من المأكولات المتعارف عليها وتأكل منها أولا العروس ورفيقاتها.

اليوم الرابع عشر هو يوم الجمار أي يخرج العريس رفقة أصحابه ومن شاء من الحاضرين إلى الغابة فيقتلعون من نخلة صغيرة جمارها فتأكل العروسة ويسمى العروسة لأنه يخصص للعروسة ويأكل كذلك الحاضرون. وبعد صلاة المغرب أو العشاء تنتهي أيام الحجبة وكذا أيام العرس، فيلتحق الزوجان بدار الزوج التي غالبا ما تكون هي دار الأب، ومن ثم يشمّر الزوج على ساعديه للعمل وممارسة الحياة الجديدة.

الجواد، بحث تاريخي حول أحياء بلدية تبسبست دائرة تقرت ولاية ورقلة، 1986م، د.ط، د.ن، تقرت، الجزائر، د.ت، ص11.

[1] ينظر الملحق رقم (08) لباس تقليدي للعريس.

[2] عبد القادر نوحة، المرجع السابق، ص46.

[3] ينظر الملحق رقم (09) لباس تقليدي للعروس.

وعلى العموم فإن في ذلك الوقت لم يكن هناك قاض للعقود، والزواج يتم بقراءة الفاتحة من قبل شيخ البلد وفق صيغة معينة متعارف عليها. كما أن تعدد الزوجات كان أكثر شيوعا من اليوم.

أما بالنسبة للطلاق، كان من السهولة بمكان، وحتى انتزاع المرأة من زوجها وتزويجها لغيره الأغنى منه أو الأكبر مكانة كان واردا وقتئذ[1]. وفي هذا الصدد أيضا تحدث مخطوط ري الغليل في أخبار عبد الجليل من خلال رحلته لمنطقة وادي ريغ فذكر ملاحظاته حول أحد الأعراس بمنطقة تمرنة فيقول:" لما كان في تمرنة حضر عرس قام به أهلها فأخذوا يطربون الطبل ولهم غيطة خارج البلاد[2] وخرجت جميع النسوان والأولاد الصغار، ورفع الرجال سلاحهم،[3] وعندما يضرب الطبل وكذلك الغيطة تبدأ البنات الصغار بالرقص على ذلك الضرب وهم يحكمون أيديهم ببعضهم البعض ويهزون بأكتافهم، ويرفعون أيديهم حتى يصلوا إلى الأولاد فيضربوا أو يطلقوا عليهم البارود، وهم كذلك يرشقون النسوان بشجر الحبق في رؤوسهم وكل هذا يكون خارج دار العرس، وعند اقتراب الليل يرجعوا إلى دار العريس، فيقدمون لهم الطعام وفي ما بعد يذهب كل أحد إلى منزله، وفي اليوم التالي يأتون ويتجمعون من جديد ويلعبون مثل اليوم الأول"[4].

*الاحتفال بشهر رمضان: إذا دخل شهر شعبان يبدأ القوم في الاستعداد لشهر رمضان والتحضير لاستقباله فيحضرون المؤونة الخاصة من: سمن، زبيب، الفريك(نوع من أنواع القمح الأخضر)، التوابل، كسكس وغير ذلك مما يخص الزاد، كما يتوب العاصون فيقلع الخمار عن شرب الخمر ويتوقف الذين يتعاطون الحشيش عن تعاطيها ويتطهرون عن

[1] عبد القادر نوحة، المرجع السابق، ص ص46ـ47.

[2] هكذا وردت العبارة عند صاحب ري الغليل، لكن قد يكون قصده من وراءها أن أهل المنطقة يخرجون بالطبل و الغيطة للتجول في المنطقة و خارجها و قد تكون أيضا لزيارة أضرحة الأولياء، والغيطة هي فرقة تسمى بالغيطة أو الغياطة و هي التي يختلط فيها دق الطبول بقوة مع أصوات البوق إلى جانب الرقص من بعض الحاضرين، ينظر: محمد الطاهر عبد الجواد، المرجع السابق ، ص11.

[3] رضوان شافو، المرجع السابق ص3.

[4] رضوان شافو، المرجع نفسه، ص11.

الرذائل. وفي اليوم التاسع والعشرين من شهر شعبان يخرج الناس زرافات زرافات ويتجمعون جماعات جماعات يتطلعون إلى رؤية الهلال فإذا هلا هلاله وشاهده الناس العدول يقبل الناس على المساجد للشروع في صلاة التراويح التي تتخذ في المساجد والمصليات والبيوت وتتوسع حلقة قراءة الحزب التي كانت في الأيام العادية تقتصر على البعض وتستمر أيام رمضان ولياليه. هكذا عبادة وذكرا، وفي ليلة السابع والعشرين يستعد لها الصائمون فيبعثون إلى المساجد بالأطعمة وأنواع المأكولات وبعد الإفطار يتوجه الجميع رجال وأطفال لحضور ختم القرآن بما فيهم الذين لم يواضبوا على حضور التراويح في الأيام السابقة لأن هذه الليلة عندهم من أعظم الليالي وأجلّها ففيها تقدر الأرزاق وتغفر الذنوب وتحط الأوزار ويتقوى الإيمان ومن فاته الاجتهاد في هذه الليلة فقد فاته خير كثير لن يعوّض أبدا، وفيها يستجاب الدعاء ولذلك تراهم يسعون إلى المساجد سعيا يذكرون الله ويدعونه ويشهد الجميع صلاة التراويح لعلهم يفوزون بالاستجابة. أما النساء فيبعثن مع أزواجهن أو أطفالهن الرقى والسرائر لتوضع في المحاريب أو بجانب أعمدة المسجد لتعلق بها بركات القرآن وتصلي عليها الملائكة وتزكيها ليلة القدر فتجلب الشفاء للمرضى وتفك العقم وتدفع أذى العين وغيرها من الاعتقادات[1].

*الاحتفال بعاشوراء: عندما يحل شهر محرم تنطلق المهرجانات الاحتفالية المتنوعة تشمل الرقص والألعاب البهلوانية والتنكر بأزياء غريبة وهذا ما يعرف أو يسمى بالحلة وهي جمع حلل وحلال وهو المكان الذي يحل فيه الناس بكثرة ويتجمعون وكان ذلك في حدة ساحات من عدة أحياء ومن ذلك حاسة المجزرة بالنسبة لأهل أولاد زائدة وساحة الولي عمر بالنسبة لأهل دخاخنة[2]. فيجتمع الناس مساءا من الأسبوع الثاني من محرم بما في ذلك يوم عاشوراء وحتى آخر ليلة من الليالي القمرية[3]. فترى هذا يرتدي زي حيوان

[1] عبد الحميد إبراهيم قادري، المرجع السابق، ص37.
[2] عبد الجواد محمد الطاهر، المرجع السابق، ص10.
[3] عبد الحميد إبراهيم قادري، المرجع السابق، ص37.

مفترس وحيوان أليف بالنسبة لأخر وذلك بلباس أسود وآخر في زي شيخ مسن وآخر في زي عسكري فرنسي وهم يتنقلون أمام جمع غفير منة الناس من مكان إلى آخر على أنغام دقات الطبول وأصوات المزامير والناس من حولهم يشاهدون ويصفقون ويهتفون من حين لآخر. وهذه العادة نقلت من المشرق العربي عندما عرف بعض الحجاج ما يفعله بعض سكان المشرق من عادات لها علاقة بمقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما وهي الأخرى لم تسلم من انتقادات أهل العلم لها بالخصوص الشيخ محمد الطاهر بن دومة الذي يرجع إليه الفضل في إزالتها بصورة نهائية وإلى غير رجعة[1].

*الاحتفال بالمولد النبوي الشريف: إذا هلا هلال ربيع الأول يستبشر الناس بقدومه فيحيون لياليه بالأفراح فالرجال يجتمعون في المساجد على المدائح الدينية التي تمدح صاحب الرسالة، والنساء في البيوت يزغردن ويغنين أما الأطفال فينتقلون كالفراشات بين المساجد والبيوت ويتجولن بالشوارع يحملون الشموع ويلعبون بالمشاعل والمتفجرات وفي النهار يطوف تلاميذ الكتاتيب القرآنية زرافات زرافات ينشدون الأناشيد، ويجمعون الهدايا والهبات لمعلميهم. تمر تلك الأيام بلياليها الساهرة المفرحة التي ترتفع بالإنسان إلى السمو الروحي الذي تفعله تلك المواقف الدينية وقبسات الرسالة الخالدة المتجسدة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم قولا وعملا وفي ليلة الثاني عشر ترتفع الأفراح إلى قمّتها فتزداد الحركة إلى المساجد ويتوافد القوم بالمأكولات والمشروبات وتخص بالرجال والأطفال وربما النساء في بعض القرى ليستمعوا إلى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم[2] وبعد الانتهاء يدعوا الإمام للحاضرين بالنصر للمؤمنين والرحمة والغفران للمذنبين ثم تتواصل السهرة على إنشاد الأناشيد ومدح المدائح إلى صلاة الفجر، وفي تلك الليلة تشعل

[1] عبد الجواد محمد الطاهر، المرجع السابق، ص10.
[2] عبد الحميد إبراهيم قادري، المرجع السابق، ص38.

الشموع في البيوت والغرف وتكون ليلة مضيئة رمزا لهذه الليلة التي أضاءت للبشرية طريقها[1].

*مناسبة زيارة النخلة: الناس في ستارة(بلدة عمر)اعتادوا إقامة حفل سنوي يسمى زيارة النخلة فيكون عند ظهور بشائر الغلة للتبرك وشكر الله على نعمته، يعلن رجال الحشان عن موعد الزيارة التي غالبا ما تكون يوم الاثنين. يومها كل أسرة في البلدة تلتزم بتحضير أكلة(مختومة) لكل فرد من أفرادها متوجهين إلى الغابة المعهودة التي يقام بها الحفل وهناك ترى معارض لبعض المصنوعات السعفية والصوفية، وبعض بائعي الفول أو الحمص أو الحلوة والمكسرات وبعض المشروبات أبرزها اللاقمي وهذه الزيارة يحضرها نفر كبير من سكان الحواضر المجاورة بنية الخطبة كما ذكرنا سابقا في باب الزواج. ويطوف رجال الحشان بالطبول والمزامير في إطار ما يسمى الحضرة وينتهي اليوم السعيد بجولات في البلدة تحت وقع الحضرة وحضرة سيدي عمار بوسنة التابعة لرجال الحشان[2].

*المبيت(لمبات): نوع آخر من عادات التوجه إلى الله وحمده على نعمه للحصول على هذه الغلة وصلاحها وهو مناسبة انفردت بها ستارة(بلدة عمر)في منطقة وادي ريغ فعندما ينتشر ما يسمى المنقر(نوع من أنواع التمور)يعلن رجال الحشان عن هذه المناسبة ويكون الإعلان عنها بالتجول في كامل شوارع البلدة تحت وقع الحضرة وذلك بضرب البندير ورفع التهليلات والتكبيرات وترديد أغاني خاصة برجال الحشان والناس يقدمون لهم أشياء بعض العطايا مثل الدقيق، القمح، التمر، الخضر، المقود أي حسب مقدور كل شخص واليوم المحدد غالبا ما يكون مساء الجمعة ويفيض الناس رجال ونساء كبار وصغار إلى مقبرة المشايخ حيث ضريح سيدي محمد بن السائح، ويتجمعون فيذبحون ويطبخون ثم يأكلون. ولحماة القرآن حلقة خاصة هناك في هذه المناسبة يجلسون ويقرؤون

[1] عبد الحميد إبراهيم قادري، المرجع نفسه، ص38.
[2] عبد القادر نوحة، المرجع السابق، ص ص50-51.

القرآن كاملا[1]. ويبيت كل الناس هناك ساهرين على حلقات الحضرة وسيدي عمار أو تجمعات ذكر الله أو ذكر أعمال المشايخ وعند فجر اليوم الموالي يعودون جميعا إلى البلدة وقلوبهم مليئة بالارتياح والسعادة آملين الحياة بحضور هذه المناسبة في العام المقبل[2].

الحضرة وزيارة الأولياء: كانت زيارة أضرحة الأولياء الذين يعتقدون فيهم الولاية والصلاح والتقى ظاهرة اجتماعية الشائعة بالإقليم مثلهم كمثل سكان توات وغيرها من الغرب الجزائري عامة، فلكل ضريح من الأضرحة المنتشرة عبر الإقليم وقت معلوم تشد إليه الرحال لزيارته وإقامة الطقوس من حوله وتنظيم حضرة[3] هكذا تسمى هذه الأخيرة وهي مأخوذة من حضور الناس وتجمعهم ويقال أنّ المؤسس الأول لها هو الولي قاسم الذي عرف بضرب الدف منشدا المدائح على النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الأولياء الصالحين، وقد تطورت الحضرة مع السنين حيث أضيفت إليها أناشيد تحث على الشجاعة وأخرى تحفز للعمل وغيرها مثل(هاهم جاءوا أصحاب الغابة)التي كانت مطلعا لأنشودة تعبر عن الافتخار بعمال بساتين النخيل أصحاب الحرفة القديمة والأكثر انتشار[4]. وبمرور الزمن تحولت إلى انفعالات دون مقصد أو هدف محدد يجتمع فيها المتصوفة والفقراء على إيقاع البندير وأنغام المزامير ويقومون بأعمال بهلوانية خارقة للعادة يأكلون النار ويبتلعون المسامير والزجاج ويطعنون بطونهم بالسكاكين والأمشاط... الخ[5] وهذا كله ضمن ما يسمى بسيدي عمار بوسنة نسبة إلى رجل من ولد زناتي وهو مقدم للطريقة القادرية حيث كانت في البداية لها شروط للدخول فيها مثل ذكر كلمة التوحيد(لا اله إلا الله) مائة ألف مرة وصيام أربعين يوم تطوعا. لكن فيما بعد أبدعت فيها وأدخلت لها

[1] عبد القادر نوحة، المرجع نفسه، ص52.
[2] عبد القادر نوحة، المرجع نفسه، ص52.
[3] عبد الحميد إبراهيم قادري، المرجع السابق، ص36.
[4] عبد الجواد محمد الطاهر، المرجع السابق، ص10.
[5] عبد الحميد إبراهيم قادري، المرجع السابق، ص36.

بعض الأعمال البهلوانية التي ذكرناها آنفا بعد سيدي عمار وأصبحت تحمل اسمه[1]. ثم تختتم الحضرة بوليمة تذبح لها الذبائح ويحضرها جميع الناس من مختلف الطبقات.

أما الأضرحة التي تشد إليها الرحال للتبرك بها هي قبة سيدي المخفي الموجودة بالورير وسيدي مبارك الصائم دفين المغير وبجانبه سيدي بوحفص وسيدي سليمان برابح الموجودة ببادية رحمان، سيدي خليل بن سالم صاحب الزاوية المشهورة، سيدي علي بن سلطان دفين البارد ورجال العريانة بوغلانة وسيدي يحي وسيدي عمران، سيدي راشد، سيدي سليمان، بن الحاج وسيدي إبراهيم بن داود دفين غمرة، سيدي علي بن كانون دفين لمقارين ورجال لملاح وسيدي محمد بن يحي سلطان تقرت وسيدي فتيتة بالنزلة وسيدي محمد بن عبد الله دفين تماسين وسيدي الحاج علي دفين تملاحت مؤسس الزاوية التجانية بالمنطقة وسيدي محمد السائح دفين بلدة عمر، سيدي بوحنية دفين قوق، ومن أشهر هذه الولائم أو المآدب التي تنظم حول هذه الأضرحة حضرة سيدي السائح ببلدة عمر، وحضرة لالة مليحة أو تسمى بحضرة رجال الحشان(لملاح) في تبسبست بتقرت[2]، وفي هذا الصدد روى صاحب الغليل عادة صوفية تعرف بحضرة لالة مليحة أو حضرة رجال لملاح ويتبع هذه الحضرة مدائح دينية مع ضرب الدف ورقص بعض الحاضرين على تلك الأنغام.

إن الاستقراء التاريخي لهذه الظاهرة يسمح لنا بالقول بأن ما يسمى بالحضرة هي طريقة صوفية كما رأينا سابقا احتضنها المتصوفون وصبوا فيها كل تصوراتهم وأحاسيسهم وأفكارهم وتجلياتهم عن الكون والموت والحياة، إلا أن الاستعمار احتواها في النصف الأول من القرن العشرين ليفسد من خلالها عقيدة المجتمع المحلي، فانحرفت عن طبيعتها وصارت ملجأ للمشعوذين والفساق، فيقول الرحالة: "ومن تبسبست يقابلك قبتين يقال لهما رجال مليحة، وهي امرأة كانت مدفونة فيهما يقال لها لالة مليحة فيأتي الأركاب

[1] عبد الجواد محمد الطاهر، المرجع السابق، ص10.
[2] عبد الحميد إبراهيم قادري، المرجع السابق، ص36.

أول الخريف من جميع بلدان وادي ريغ ويزورا لالة مليحة و يجعلون فيها عرس ولا يقعد أحد في وادي ريغ إلا ويزور رجال مليحة ويمشي سلطان تقرت أيضا ويجعلون فيها طعام ولا يبقى رجل ولا امرأة إلا وتوجهوا لزيارة لالة مليحة. وبعدها يمشي جميع الناس والأركاب من بلاد إلى بلاد لزيارة المرابطين وأضرحة الأولياء الصالحين والزوي في جميع واد ريغ حتى يصلوا إلى الورير وهي آخر بلاد بلدان واد ريغ[1]. ويجعلون فيها حضرة ويرقصون فيها ويقال أن جميع الأحناش واللفاع والعقارب تخرج وترقص على زف البندير، لكنه لم يرى شيئا من ذلك الأمر الذي يقولون عنه في الورير. وعند رجوعهم منها بعد ثلاثة أيام توجّهوا إلى المغير"[2].

إضافة إلى هذه العادات والتقاليد للمنطقة هناك بعض الأعمال الأخرى التي تعارف عليها السكان وتدخل ضمن هذا المجال نذكر منها:

*التويزة: هي العمل الجماعي الذي يقوم على أساس التعاون والتضامن والتآزر من جميع أفراد المجتمع للتغلب على الصعوبات التي تواجه الفرد الذي لا يستطيع القيام بها لوحده. ولذلك ترى القوم يتعاونون في إطار ما يسمى التويزة في بناء دور السكن وحفر الخنادق وشق السواقي وجني التمور وحصاد الزرع ودرسه... الخ[3]. فإذا عزم مثلا فلاح على انجاز عمل ما أو تنفيذ مشروع من المشاريع ما عليه إلا أن يحدد يوم ثم يخبر الأصدقاء والجيران والمعاونين بما أقدم عليه قبل الموعد بيوم أو يومين، وفي يوم الموعد سيحضر الجميع باستعداد وحماس لانجاز العمل، كما يكون عملهم مصحوبا بالمدائح الدينية والذكر. وبهذا النظام السائد استطاع الفلاحون(غنيهم و فقيرهم) بناء مساكنهم وتعمير أراضيهم وغرسها... الخ، وقد تتوسع التويزة من الاستفادة الفردية إلى الاستفادة الجماعية العامة فإن احتاج جماعة من الفلاحين إلى فتح ساقية مشتركة بينهم أو تنظيف

[1] رضوان شافو، المرجع السابق، ص04.
[2] رضوان شافو، المرجع نفسه، ص04.
[3] عبد الحميد إبراهيم قادري، المرجع السابق، ص33.

الخنادق من الأوحال، ينادي في القرية أو الحي فيسارع الجميع إلى الاستجابة ومن تخلف عن ذلك يفقد مساعدة الجماعة له يوم يحتاج إليهم و يحرم من عونهم وعطفهم. وإذا كانت التويزة الفردية الصغيرة تتم بالأغاني والمدائح فإن التويزة الجماعية الكبيرة تصحبها أغاني ممزوجة بالإيقاع والقصبة والناي... الخ[1].

*المغارسة: هي عادة حسنة وعرف من الأعراف التي بها تمكن كثير من الناس من التملك والحيازة العقارية، وهذا النظام يقوم على اتفاق بين أطراف معينين على استصلاح قطعة أرض وغرسها بالاشتراك والمساهمة. مثلا طرف يشترك بالأرض، طرف يشترك بمياه السقي، طرف يشترك بالأشجار وفسائل النخيل، طرف يشترك بالعمل والعناية بالأشجار. فإذا بلغت الأشجار حجما معينا وبلغت قدرا من الإنتاج يتم تقسيمها على حسب الأطراف المشاركة، ويأخذ كل طرف سهما من الأسهم مقابل ما اشترك به[2].

*التربية: وهي أن يكون لشخص ما ماشية و يعطي منها جدي لمن ليس له غنم فيقوم هذا الأخير بتربية هذا الجدي ورعايته مدة عام أو عامين حسب التعاقد والاتفاق وعندما تلد يعيدها إلى صاحبها الأول ويحتفظ بصغارها. وبهذا التعاون يصير من لا ماشية له بعد عام أو عامين تصبح له ماشية تمده بالحليب والسمن والجبن[3].

كذلك هناك عادة لاحظها صاحب ري الغليل التصقت بالمرابطين والروحيين من الأولياء الصالحين وتأثيراتهم على حكام والسلاطين لطلب العفو والأمان ضد كل من سرق أو ارتكب ظلما فيقول صاحب ري الغليل إذا قتل أحد من أي بلد ما أو عليه ظلم، فيهرب إلى بلد سيدي راشد وهناك لا يقدروا(السلطنة)إخراجه من بلد سيدي راشد ويبقى يأكل ويشرب في زاويتها ثم يخرج أولاد سيدي راشد سبحة سيدي راشد وهي سبحة لها حبيبات كبار وتزن حوالي عشرة أطال من حطب الرتم، مجموع حباتها خمسة آلاف حبة

[1] عبد الحميد إبراهيم قادري، المرجع السابق، ص ص33-34.
[2] عبد الحميد إبراهيم قادري، المرجع نفسه، ص ص33-34.
[3] عبد الحميد إبراهيم قادري، المرجع نفسه، ص ص33-35.

ويخرجوا سناسق خضر وحمر وصفر، وكذا بناديرهم، ويمشوا ويرفعوا الهارب معهم حتى يصلوا تقرت، وعند وصولهم قرب موضع يقال له دبوسة. يحلوا سناسقهم ويضربوا بناديرهم ويدخلوا إلى القصبة وهم يمدحون سلطانهم فيجعلوا السبحة في رقبة الهارب ويضربون بناديرهم كثيرا ويزيدون في الضرب حتى يخرج لهم السلطان من شدة زف البندير والعياط ولما يأتي إليهم يقدموا له الرجل الذي ارتكب الخطأ سواء قتل أو سرق أو عليه ظلم وهو خائف من السلطنة ويقبّل(يبوس) على السلطان فيأخذ المرابطين(أولاد سيدي راشد) السبحة ويجعلوها في رقبة السلطان ويقولوا له:"الأمان لهذا الرجل يا سلطان لكي تحضر لك بركة صاحب هذه السبحة" فيقول لهم:"إني عفوت عنه على أجل سيدي راشد، وعلى أجلكم"، ويقبل السبحة ويتقدم كبيرهم ويدوّر السبحة على رأس السلطان سبعة مرات، ويدعون له بالنصر وطول العمر، ثم يهدي لهم السلطان شيء من أمور الدنيا، أو يرمي على كبيرهم برنوس أحمر أو أخضر، كما يضيّفون عند السلطان ثلاثة أيام، ثم يرجعوا إلى بلادهم[1].

[1] رضوان شافو، المرجع السابق، ص3.

3/ البناء العمراني:

لم تعرف المنطقة الفن العمراني إلا بعد الفتح الإسلامي وبالضبط بعد قيام الدولة الرستمية عندها بدأت تتوافد قبائل زناته وانتشرت في البلاد فاختطوا القرى والقصور على امتداد الإقليم[1]، أما المدينة الأم(تقرت)فتحولت من مكانها الأول أكثر من مرة كبقية المدن التاريخية وحسب الروايات أن أول مكان أقيمت عليه تقرت هي تالة قرب غمرة[2]، ثم تحولت ناحية سيدي بوجنان، ثم إلى شمال النزلة الحالية في عهد البهجة، وعندما حكم بني جلاب المدينة تحولت إلى المكان المعروف الآن بين باعلوش و النزلة، فأقاموا حولها سورا مبنيا بالطوب، وأحاطوها بخندق واسع تحصينا لها من دخول الأعداء وأصبحت هي قصبة السلطان، تضم قصر المشيخة وبيوت القوم والتجار والصناع والأعيان وسميت مستاوة نسبة إلى قبيلة مستاوة الزناتيه التي كانت تشكل أغلب سكان القصبة في ذلك الوقت[3]، وتحدث عنها حسن الوزان فيقول:"في تقرت نحو ألفين وخمسمائة كانون. دورها مبنية بالأجر المشوي والني ماعدا الجامع فإنه وحده مبني بالحجر المنحوت الجميل وهي عامرة بالصناع والنبلاء والأغنياء الذين يملكون حدائق النخيل"[4].

هذه القصبة في حد ذاتها تضم داخلها أكثر من قصبة منها قصبة مستاوة المقسمة إلى أزقة وحارات وقصبة النزلة القديمة الواقعة جنوب مستاوة، يسكنها أصحاب الملاك العقارية من أراضي فلاحيه وبساتين النخيل، وهذه القصبة أقدم من قصبة مستاوة[5]. أما فون مالتسان فيقول:"كانت القصبة عبارة عن مدينة صغيرة داخل مدينة كبيرة و لها أبواب

---

[1] عبد الحميد إبراهيم قادري، التعريف بوادي ريغ، ص38.
[2] عبد القادر موهوبي السائحي الإدريسي الحسني، مقابلة شخصية، بتاريخ2012/02/23م.
[3] عبد الحميد إبراهيم قادري، تقرت البهجة...، ص69.ينظر للملاحق رقم(10)و(11) يبيّن مخطط مدينة تقرت، أما رقم(12) يبين قصر تماسين.
[4] الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص135.
[5] عبد الحميد إبراهيم قادري، المرجع السابق، ص69.

كثيرة مثل أي مدينة من المدن(...)وفي وسطها بناية كبيرة من الطين هي قصر بني جلاب"[1].

وعموما فإن مدينة تقرت تأخذ شكلا دائريا ويحيط بها مجرى كان زاخرا بالماء(خندق) يرتفع منه سور محيط علوه حوالي متران ونصف يتوزع على طوله بعض الأبراج الصغيرة تبعد عن بعضها البعض بما يقارب الستين مترا، ويبلغ عرض الواحد منها ثلاثة أمتار، إن هذا الحصن التقليدي المصنوع من الجبس يخترقه ثلاثة أبواب متصلة بالقصبة. ويوجد في مركزها السوق وهو عبارة عن ساحة واسعة مربع الشكل تتصل به أربعة شوارع كبيرة[2]، تتفرع عنها تتفرع عنها أزقة ودروب ضيقة ومسقوفة لتكون لطيفة في فصل الصيف وتجنبا لحرارته المحرقة، ودافئة في فصل الشتاء، وفي كل مفترق توضع المصابيح الزيتية للإضاءة ليلا. وتتواجد على جوانبها أبواب المنازل التي تأخذ التصميم الآتي:

سقيفة عند مدخل البيت تأخذ إلى الفناء إذا كان البناء أرضيا أو إلى البهو إذا كان المبنى ذا طابقين، ويحيط بالفناء أو البهو غرف وسلم يصعد به إلى الدور الأول(السطح). المخزن وهو غرفة كبيرة تجزن فيها العولة(التمر) والمؤونة من دقيق وقمح وزيت وتوابل مختلفة وربما أدواة البيت الاحتياطية بالإضافة إلى خابية التمر[3] وهي عبارة عن حوض يبنى داخل هذه الغرفة يخزن فيه عولة التمر التي تعول منها العائلة عبر السنة[4]. وفي بعض الأحيان تبنى غرفة خاصة تعرف بغرفة التمر مخصصة لهذه الغلة. وبعض الأسر الغنية تتخذ دارا خاصة لهذا الغرض. المطبخ هو للطبخ وجلوس النساء في بعض الأحيان. غرف النوم وعددها يحدده مستوى العائلة المادي وعدد أفرادها. غرفة الضيوف وهي حجرة لا يخلوا بيت منها وعادة تكون في بداية مدخل البيت وأحيانا يخصص قسم

[1] هاينريش فون مالتسان، المصدر السابق، ص ص149-150.
[2] feraud cherls, op.cit, p57.
[3] عبد الحميد إبراهيم قادري، التعريف بوادي ريغ، ص39.
[4] ميهاني مبروكة، مقابلة شخصية، بتاريخ2012/04/13م، تقرت.

كامل يقتطع من البيت للضيوف[1]. وقد أشار إلى ذلك فون مالتسان في رحلته عندما دخل واحة تندلة التي أخذ يصف إحدى بيوتها فقال:"(...)بها غرفة تدعى غرفة الضيوف دخلنا إليها وكانت مفروشة بالسجاجيد وهي نوع من البذخ الذي لا يكاد يكون له مثيل عند هؤلاء الناس الذين يرون في الحصائر نفسها نوعا من الإسراف"[2]. وأخيرا الإسطبل وهو مخصص للحيوانات والبهائم وبه بيت قضاء الحاجة(المرحاض) ويكون دائما على هامش البيت حتى لا تنتشر الروائح داخل البيت[3]. هذا بالنسبة لتصميم المنازل، أما بالنسبة إلى منازل أو قصور شيوخ وسلاطين تقرت تقع أغلبها على الطابق الثاني وبها مجموعة من الغرف الصغيرة، وتكون متصلة ببعضها بواسطة ممرات مظلمة أو منفصلة ببعض الغرف غير المسقوفة. وتتصل بغرف الطابق الأرضي والساحات الداخلية الصغيرة والحديقة عبر أدرج أو سلالم ضيقة. أما الحديقة فتحتوي على بعض الأشجار المثمرة والكثير من شجيرات الورد[4]. مع أن مالتسان يقول بأن قصر بني جلاب توجد به قاعة أرضية كبيرة لا أثر للزخرفة فيها كما تحتوي على بهو استقبال واسع وغرفتان إحداهما لحريم الشيخ والثانية تشكل المطبخ الذي ينام فيه الخادمات، مع أن القصر لم يكن بناية صغيرة ويحتوي على غرف أخرى كثيرة غير السابقة الذكر إلا أن الطابق الأول كان يسكنه الدجاج بينما الأرضي كان مسكنا للمعز والغنم وغيرها من البهائم[5]. وللسور الذي يحيط بالقصبة كما ذكرنا به أبواب تمرر إلى داخلها منها باب يسمى بباب الغدر[6]، والثاني يعرف بباب الخضراء والآخر بباب السلام[7] إلا أن هذين الأخيرين سدّا بحائط ولم يعد هناك ممر سوى باب الغدر أي عبر القصبة وأمام أنظار السلطان، وعلى الخندق الذي

---

[1] عبد الحميد إبراهيم قادري، المرجع السابق، ص39.
[2] هاينريش فون مالتسان، المصدر السابق، ص140.
[3] عبد الحميد إبراهيم قادري، المرجع السابق، ص39.
[4] feraud cherls, op.cit, p58 .
[5] هاينريش فون مالتسان، المصدر السابق، ص ص150-164.
[6] وهو اسم على مسمى، حيث أنه كان عن طريقه يتخلص طغاة الصحراء من جثث معارضيهم خفية بعد أن يتم استدراجهم، ينظر: شارل فيرو، المصدر السابق، ص57.
[7] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص524.

أقامه سلاطين تقرت بعض جذوع النخيل أمام كل باب وهي بمثابة الجسور التي تلعب دور قنطرة تسمح بمرور الراجلين فقط، وهذا الأمر كان في عهد الحكام الأوائل لأنه بعد عام 1872م تغيّرت ملامح المدينة[1]. كما توجد أماكن العبادة كذلك مثل المسجد العتيق الذي يضم ضريح سيدي الهاشمي، وكذا المسجد الكبير الذي تم بناؤه عام 1780م من طرف أحد سلاطين بني جلاب وهو إبراهيم بن محمد تكفيرا عن جريمته في حق أخيه الكبير[2]، وهذا المسجد هو البناء الأكثر تميزا من نوعه ليس وادي ريغ فحسب بل في الصحراء القسنطينية كلها لأنه من إنجاز معماريين تونسيين حيث يضم آثارا من الفن المعماري الإسلامي ويمكننا أيضا ملاحظة هياكل الأبواب والأعمدة الصغيرة من الرخام الأبيض الثمين القادم من تونس ونرى كذلك جدران الواجهة المرصع بالبلاط الخزفي الملون والملمّع، وتنتصب قربه صومعة مصنوعة من الآجر الجاف شديد الصلابة والتي تعود إلى أنقاض المسجد القديم[3]. وعموما يقول فون مالتسان بأن البنايات الطينية بمرور الزمن تتصدع بحيث تنتفخ جدرانها والبيوت تصبح غير مستقيمة في مستوى واحد، ولهذا ليس من المعقول إدخال الزخارف المعمارية على البيوت الطينية[4]، على عكس ما نجده في المساجد، وأيضا نجد أن مئذنة تماسين معاصرة لمئذنة تقرت[5]، وهنا يقول العياشي: "عندما وصلنا بلدة تماسين(...)في مسجدهم صومعة وثيقة البناء طويلة جدا فيها نحو من مائة درجة على بابها اسم صانعها وهو المعلم أحمد بن محمد الفاسي وتاريخ بنائها سنة817هـ"[6].إضافة إلى ما ذكرناه في هذا الجانب العمراني توجد مقبرة خاصة بأسرة بني جلاب إلى الجهة الغربية من المسجدين العتيق والكبير تتوجها قبة ذات نقوش بسيطة، وهناك بعض الأماكن للنزهة والحوانيت والأسواق غير السوق الكبير الذي يتوسط المدينة

[1] شارل فيرو، المصدر السابق، ص ص58-59.
[2] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص524.
[3] feraud cherls, op.cit, p58.
[4] هاينريش فون مالتسان، المصدر السابق، ص ص148-149.
[5] مختار حساني، مرجع السابق، ص207.
[6] أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص ص119-120.

وهي مرافق تتطلبها حياة الرحل(القبائل البدوية) الذين يترددون بين الحين والأخر على الواحات أو المراكز العمرانية لتصريف منتوجاتهم التي يتبادلون بها مع سكانها والتزود بالمواد الغذائية و تقديم يد العون والمساعدة للحكام عند الحاجة[1].

وبمرور الزمن التحقت بقصبة تقرت قصبات أخرى مثل قصبة سيدي بوعزيز وقصبة تبسبست وقصبة بني أسود وقصبة الزاوية العابدية، لأن كل واحدة من هذه القصبات كانت مستقلة بنفسها لها عروشها وبناءاتها وغابات النخيل. وبعد خضوع تقرت للاستعمار استولى المحتل على مرافق السلطة الجلابية فأدخلوا عليها تعديلات وحولوا قصر السلطان إلى سكنات للضباط وعندما استقر الأمر أخذت تتوافد على المدينة الجاليات الأوروبية فاحتاجت السلطات الاستعمارية إلى إنشاء أحياء جديدة ومرافق إدارية وأخرى اجتماعية[2].

من المواد المستعملة في البناء التي استخدمها الأهالي في البناء الدور والمساكن اللبن المصنوع من الطين اللزج وهو الأغلب والأكثر استعمالا، ويصنع منه كذلك الطوب وذلك بعد تخمير عجينة الطين المخلوطة بالتبن في بعض الأحيان وشيء من الرمل ثم توضع في قوالب خشبية مستطيلة لمدة يومين أو ثلاث، وهناك من يستخدم الأحجار التي تقلع من المحاجر. وتشد الأحجار أو الطوب بالطين اللزج أو الجبس. أما بالنسبة لسقوف البيوت فهي نوعان:

*سقوف في شكل قباب وهي أنظف و أمتن تبنى بالأحجار الصغيرة المشدودة بالجبس وترتكز على أربعة أعمدة متساوية الأبعاد ومرتبطة بأقواس. وهي نوعان:

أ/قباب اسطوانية الشكل وهي قليلة بالمنطقة ويسميها الأهالي ظهر الصيد.

[1] إسماعيل العربي، **الصحراء الكبرى و شواطئها**، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م، ص142.
[2] عبد الحميد إبراهيم قادري، تقرت البهجة...، ص ص70-71.

ب/قباب كروية الشكل وهي معروفة بالإقليم وهذا النوع من القباب لا تؤثر فيه الرياح ولا يتأثر بالطقس، وهي باردة صيفا ودافئة شتاءا.

*سقوف خشبية وهي أقل نظافة من سقوف القباب وتتم بوضع الخشب على الجدران ثم يوضع فوقه العصي ثم يغطى بالطين المبلل ويبلط بالجبس ليمنع تسرب مياه الأمطار، ومثل هذا النوع من السقوف تحتم على صاحبها الصيانة السنوية أي قبل كل شتاء خوفا من تحرك الخشب فيحدث شقوقا في السقف[1]. والملاحظ أن أكثر منازل وادي ريغ بنيت من الطوب المجفف تحت الشمس، أما منازل الأثرياء والقصبة فهي مبنية بالحجر الصلب الكلسي[2].

[1] عبد الحميد إبراهيم قادري، التعريف بوادي ريغ، ص40.
[2]. feraud cherls, op.cit, p 59

1 ــ التعليم:

يعود تاريخ الحركة التعليمية بالمنطقة حسب المصادر المتوفرة، إلى العهد الإباضي بها[1]أي مند نزوح الإباضيين إلى الإقليم، خلال القرنيين العاشر والحادي عشر الميلاديين، حيث ترك بانتشار هذا المذهب الإباضي بصمات واضحة على المنطقة من الجانب الديني والعلمي, وكان من أشهر علمائه الذين برزوا آنذاك الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر[2] الذي كان يملك سلطة روحية على سكان المنطقة من خلال تقواه وورعه وعلمه وحبه لنشر الخير وإطفاء الفتن والاضطرابات التي كانت تنشأ من حين إلى آخر بين مشائخ وقصور واد ريغ، لكن استمرار هذه الصراعات أدى بالشيخ أبي عبد الله محمد بن أبي بكر إلى الخروج من المنطقة لمدة عام، وقد حاول أعيانها ووجهائها إرجاعه لكنهم فشلوا مما أدى بهم إلى الاجتهاد في تشكيل مجلس لأعيان القرى ثم شرعوا في القضاء على الفساد والفتن ونشر الخير بين الناس[3] ولما سمع الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بهذا العمل أعجبه الأمر وقفل راجعا إلى وادي ريغ وبالضبط منطقة آجلوا (بلدة عمر) وبدأ في تنشيط حلقه العزابة [4] لتنظيم شؤون القرية والعلاقات الاجتماعية على أسس شرعية[5]، ثم انتشرت هذه الحلقة بتقرت على يد الشيخ أبو زيد عبد الرحمان بن المعلي بمسجد وادي ريغ وهو مسجد الجامع الكبير بتقرت[6]. ولما ظهر سيدي محمد بن يحي الإدريسي في المنطقة كما أشرنا مسبقا، وجد فكرة المجلس أو المجمع موجودة(حلقة العزابة)وبحكم أنه يتبع مذهب السنة والجماعة أعاد بعث فكرة هذا المجلس بصيغة جديدة عرف باسم مجلس

---

[1] ــ عبد الحميد نجاح، المرجع السابق، ص77 .

[2] أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، **طبقات المشائخ بالمغرب**، تح:إبراهيم طلاي، ج2، د.ن، مطبعة البعث، قسنطينة الجزائر، د.ت، ص ص436ــ437.

[3] ــ رضوان شافو، المرجع السابق، ص 87 .

[4] ــ حلقة العزابة : ليست إلا هيئة تربوية تعليمية, بعيدة عن السلطة والسياسة هدفها الوحيد نشر الإسلام والدعوة إلى المذهب الإباضي، ينظر: يوسف بن بكير الحاج سعيد، **تاريخ بني ميزاب** ....، ط2، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1424 هــ/ 2006م، ص 25.

[5] أبو العباس بن أحمد بن سعيد الدرجيني، المصدر السابق، ص

[6] مختار حساني، المرجع السابق، ص 203 ــ 204 .

رجال لملاح تكون من أعيان قرى ومداشر وادي ريغ وعين على كل قرية مندوب عنه أمثال سيدي راشد، سيدي يحي، سيدي علي بن كانون، سيدي سليمان، سيدي خليل، عمران وغيرهم من هؤلاء الصالحين الذين عكفوا على إصلاح ذات البين والسعي إلى الأعمال الخيرية والدعوة إلى المشاريع ذات المنفعة العامة والمصلحة المشتركة [1].

1ـــ1نظام التعليم ومراحله:

*المدارس والكتاتيب:

لم يعرف الإقليم المدارس المهيكلة والمعاهد المنتظمة كما عرفها إقليم الزاب وإقليم وادي ميزاب وإنما عرف نظام الكتاتيب القرآنية والدروس المسجدية العامة التي عمل الأهالي على إنجاحها بأموالهم وأفكارهم وجعلوا فرصة التعليم متاحة لجميع الفئات خصوصا التعليم بالكتاب الذي كان شائعا, يبدأ التعليم بالكتاب الذي لا تخلوا قرية منه وينتهي بالمسجد إذا كان به شيخ يدرس لأن التعليم بالمسجد يعود إلى مدى قدرة أهل البلد واستطاعتهم على استضافة شيخ علم والإنفاق عليه, وبهذا النظام يكون الكتاب بمثابة المدرسة الابتدائية التي يتعلم فيها التلميذ القراءة والكتابة وحفظ الذكر الحكيم.

*المرحلة الابتدائية :

طريقة التعليم هي في الكتّاب السابقة الذكر، يتعلم الطفل فيها القراءة ومخارج الحروف والصلوات من قبل عريف الكتاب, الذي يساعد المعلم بتعليم الصبيان التهجي ورسم الحروف ثم ينتقل الطفل إلى حفظ القرآن الكريم آية فآية جزءا فجزء حزبا فحزب، مكتسبا ببعض المتون الفقهية ومبادئه العربية على يد معلم الكتاب الذي تنحصر مهمته في

[1] ــ عبد الحميد إبراهيم قادري، مقابلة شخصية، 29 مارس 2012, تقرت .

التحفيظ فقط ولا يلزم نفسه بالشرح والتفسير والتوضيح وعندما ينتهي من حفظ القران واستظهاره يكون قد قطع مرحلة تعليمية هامة يصير بعدها طالبا أو عريفا [1].

*المرحلة الإعدادية أو الثانوية :

وهي المرحلة التي ينتقل الطالب فيها إلى حلقة المسجد وهذه المرحلة لا يحظى بها إلا أبناء الأسر الميسورة وبعض العرفاء والنجباء، يتلقى فيها الطالب التفسير والشرح على تلك المتون التي حفظها بالكتاب، حيث يتولى التعليم والتدريس بالمسجد عالم القرية في المداشر وعالم الحي في المدن الكبيرة، أو فقيه يستقدمه الأهالي إلى قريتهم أو سكان حيهم من الجهات المجاورة بالخصوص من واد سوف أو الجريد التونسي أو أحيانا من زاب بسكرة أو من المغرب.

*المرحلة الأخيرة :

هي المرحلة التي تتم خارج الإقليم إما بجامع الزيتونة أو جامع القرويين بفاس وأحيانا بسيدي عقبة، ومن هناك يعود الرجل عالما ينتسب للتدريس والتعليم وهذه المرحلة لا يحضى بها في أغلب الحالات إلا أبناء الأسرة الغنية، وفيها يدرس الطالب سيدي خليل وشروحاته وحواشيه والمدونة والموطأ ومقدمات ابن رشد والرسالة وشرحها في الفقه والتعمق في دراسة المفتاح والبلاغة للسكاكي وديوان الحماسة في الأدب، فربما الطالب الذي يتخرج من هذه المعاهد العليا يكون أعلى من شيخه[2].

أما بالنسبة لطريقة التعليم ففي المرحلة الأولى :يفتح الكتاب أبوابه مع صلاة الفجر، فيأتي التلاميذ الذين شاؤا في الحفظ ليكتبوا في لوحاتهم من المصحف مباشرة، لأنهم سبق لهم أن رسموا القرآن إملاء، وعند طلوع الشمس يتجمع الأطفال في المحضرة أمام المعلم

[1] ـــ عبد الحميد إبراهيم قادري، التعريف بوادي ريغ، ص 50 .
[2] ـــ عبد الحميد إبراهيم قادري، التعريف بوادي ريغ، ص 51 .

للكتابة عن طريق الإملاء، ويعتمد الانصراف عن التلاميذ وهم يكررون الآيات قصد ترسيخها، وكلما انتهى الطالب من كتابة لوحته يقرأها أمام المعلم لتصحيحها وتقويم التلاوة ثم يستقل مكانه لحفظها ودور المعلم بعد الكتابة هو التنشيط ومراقبة الجميع ومن جهة أخرى يكون العرفاء والنجباء قد جمعوا حولهم الأطفال الصغار لمساعدتهم على الكتابة وإقرائهم الآيات، وتنتهي هذه الفترة بين التاسعة والعاشرة صباحا[1]. ثم تأتي الفترة الثانية. التي تبدأ بآذان الظهر فيجتمع التلاميذ في المحضرة: لمواصلة عملية الحفظ وكل من حفظ لوحته يتقدم إلى المعلم فيستظهر عليه ما كتبه في الصباح، ثم يقوم لمحو لوحته ثم ينزوي ليقرأ في المصحف ما سيكتبه غدا .. ثم تأتي الفترة الثالثة تبتدي قبل غروب الشمس وهذه الفترة تخصص إلى تكرار الأحزاب والأجزاء التي حفظها التلاميذ وتمتد هذه الفترة إلى ما بعد صلاة المغرب ويعمل الكتاب خمسة أيام ونصف من الأسبوع، السبت، الأحد، الاثنين، الثلاثاء، الأربعاء ويخصص الخميس صباحا للتكرار[2].

أما عن طريقة التعليم في المسجد: نظام التعليم المعمول به في المسجد أن يجلس الطلبة على شكل هلال يقابلهم المعلم وفي يد كل واحد لوحته ويستمع الكل إلى تقارير الشيخ ونقل ما في المتن وتستمر الحلقة غالبا من صلاة الصبح إلى الضحى وتبدأ الفترة الثانية المسائية بعد صلاة العصر إلى المغرب وهكذا باقي أيام الأسبوع ما عدا أيام الجمعة والأعياد. أما مدة الدراسة غير محددة وتتوقف على مستوى الذكاء للطلاب وقدرتهم على التحصيل ومدى إستعابهم للمواد المقررة إذا انتهى الطالب من العلوم وحفظها أجازه شيخه وسمح له بالتدريس ومنذئذ يصبح شيخا[3].

[1] ــ عبد الحميد إبراهيم قادري، المرجع نفسه، ص 51 .

[2] ــ عبد الحميد إبراهيم قادري، التعريف بوادي ريغ، ص 51 .

[3] ــ عبد الحميد إبراهيم قادري، المرجع نفسه، ص 52 .

1ـــ2 أجور المعلمين:

معلم الكتاب يتقاضى أجره من أولياء التلاميذ، فكل أسرة تدفع على ابنها سنويا كمية من التمر، مقدرة بحسب العرف المتعارف عليه بالقرية لأن الكمية تختلف من قرية لأخرى ومن عائلة إلى عائلة، وفي باقي السنة الدراسية على كل طفل أن يزود الكتاب يوميا بشيء مادي يسمى "الحاضر رمز الحضور" إلى الكتاب ويقدم أسبوعيا حصة من الحطب أو ما يعوضها نقدا أو قمحا أو تمرا ويسميها القوم ضمة الأربعاء أو حصتها فضلا عن الهدايا والعطايا التي تأتي المعلم من الأسر الكريمة في المواسم والأعياد وكلما ختم الطفل جزءا من القرآن تزين لوحته لتقدم الأسر: هدية الختمة حسب مستواها المادي ودرجتها الاجتماعية، وقد حددت الدرجات في السور الآتية الإخلاص، الكافرون، البينة، الأعلى، النبأ، الجن، تبارك، الجمعة، المجادلة، الرحمان، يس، مريم، الأعراف، البقرة[1].

أما التعليم في المسجد فهو مجاني، حيث يتقاضى المعلم أو المدرس أجرة من جماعة البلاد أو العائلة الغنية التي جاءت به لتعليم أبناءها وتعمير المسجد وهناك بعض الأسر تستأثر بمعلمين ومدرسين تستأجرهم لتعليم أبنائها في بيوتها. إلا أن التعليم المسجدي لم يثمر كما أثمر وأفاد التعليم في الكتاتيب القرآنية خصوصا في العهود أو العصور المتأخرة إذ نجد أعدادا كبيرة من حفظة القرآن المتخرجين من الكتاتيب بينما لم تجد علماء أو فقهاء تخرجوا من المساجد كما هو حال الدارسين بمساجد بسكرة وسيدي عقبة وبلاد توات [2].

[1] ـــ عبد الحميد إبراهيم قادري، التعريف بوادي ريغ، ص 52 .
[2] عبد الحميد إبراهيم قادري، المرجع نفسه، ص 53 .

2- مساجـــد ومشائخ المنطقة:

2ـــ1 المساجد :

كان المسجد بالنسبة لسكان واد ريغ هو مركز الإشعاع الحضاري والفكري ومجمع التشاور والتعاون على بناء المجتمع الفاضل وتحقيق العدل بين أفراده وموطن العبادة والراحة النفسية، ومصطلح المسجد لم يكن شائعا في لهجة السكان فالشائع عندهم هو الجامع فيطلقون على المسجد اسم الجامع فهو المدرسة والجامعة والمحكمة والمعبد، وعلى غرار المناطق من وطننا الكبير شيدت عبر تاريخ المنطقة مساجد وجوامع بناها الأهالي وعمروها بالعلماء والمدرسين، ومن أشهر هذه المساجد والجوامع التي كانت تشع على المنطقة بنشر القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وحفظ تعاليم الدين الحنيف[1]، وفيما يلي أهمها:

***المسجد الكبير بتقرت**: قبل التطرق للحديث عن هذا المسجد هنالك مسجدان قبله مسجد السادة الإباضية القديم والذي يعود إلى عهد التواجد الإباضي, تميز هذا المسجد بمنارته التي كانت تعلو الحي وكان منبع العلم بالنسبة للإباضية، وقد كان عامرا بالعلم والعلماء من بينهم عبد الرحمان بن المعلي الذي أسس حلقة العزابة بهذا المسجد إلا أنه تغير وحول إلى مسجد للسادة المالكية وأصبح يعرف بالجامع الكبير بعد إعادة بناءه من قبل الشيخ إبراهيم الجلابي وكان هذا المسجد كعبة الزوار ومحط رجال العلماء أمثال: عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي، محمد بن إبراهيم الفاسي اللذان التقى بهما العياشي وذكرهما في رحلته[2].

[1] عبد الحميد إبراهيم قادري، التعريف بوادي ريغ، ص 47 .
[2] عبد الحميد إبراهيم قادري، تقرت البهجة...، ص ص 94 ــ 95 .

و الآن نعود إلى المسجد السابق الذكر وهو المسجد الكبير بتقرت يعد من أكبر المساجد بالمنطقة بناه أحد مشايخ الجلالبة تقرَبا إلى الله تكفيرا عن ذنوبه التي أرتكبها في حق أخيه الذي قتله حيلة وعن الظلم الذي كان يسلطه عن الرعية وجلب لبنائه بنائين ونحاتين محترفين من نفطة وتونس والوادي، خاصة قبته ومنبره المنقوش من أقدم المساجد التي بقيت على حالها ولم يمسه التغيير كسابقيه خاصة داخل المحراب وكان هذا المسجد يشع على تقرت وضواحيها بنور العلوم الشرعية من فقه وأصول وعقيدة على أيدي علماء وفقهاء أجلاء.[1]

***مسجد سيدي قاسم**: " بتبسبست " ويقال أنه شريف أتى من دندوقة نواحي لمغير وكان عهده عهد الجلالبة وأشتهر بالصلح، تأسس في القرن 16م وكان من أبرز المساجد التي خدمت القرآن الكريم ونشر على أيدي رجال صالحين تفرغوا لهذه المهمة النبيلة، وأول من صلى الجمعة في مسجد سيدي قاسم هو الطالب أحمد عرعار ثم الطالب أحميدة قرميط فابنه الطاهر قرميط وبعده محمد السعيد عرعار ثم الشيخ محمد الطاهر بن دومة.

***مسجد سيدي لخضر**: " بتبسبست " يقال أن سيدي لخضر كان مدرسا بالمكان الذي يوجد به ضريح سيدي يابية بمقبرة تبسبست ويحضر إلى دروسه رجال أفاضل منهم سيدي محمد بن يحي ويتواجد مسجد سيدي لخضر بوسط مساكن أولاد زائدة بتبسبست وله ضريح هناك كما له ضريح آخر ببلدية الزاوية العابدية وذلك عند موته وقع نزاع بين الطرفين منهم من يقول دفن في تبسبست ومنهم من يقول بالزاوية العابدية ولعل السبب في هذا النزاع يدل على صلاحه فكل منهما يريد التبرك بقبره (كما هو الشأن المعروف في ذلك العهد, عهد المبالغة في الاعتقادات الفاسدة وخلو الواحة من العلماء المتشبعين بالشريعة السمحاء[2].

[1] ــ عبد الحميد إبراهيم قادري، تقرت البهجة...، ص ص 94 ــ 95 .
[2] ــ الشيخ محمد الطاهر بن دومة، المصدر السابق، ص ص 15 ــ 21 .

ومن أشهر مساجد وادي ريغ نجد كذلك مسجد تماسين أو جامع تماسين (سيدي عبد الله المغراوي) ويسجل أن هذا الجامع له صومعة عالية تبلغ حوالي مائة درجة من الأعلى عليها أسم بنائها وهو أحمد بن محمد الفاسي، ومن الرحالة الذين تعرضوا إلى تماسين العياشي السالف الذكر الذي قال:"(...)في مسجدهم صومعة ووثيقة البناء طويلة جدا فيها نحو مائة درجة على بابها اسم صانعها وهو المعلم أحمد بن محمد الفاسي وتاريخ بنائها سنة 817 هـ / 1414م وما زال هذا المسجد يؤدي رسالته القرآنية لأبناء حي تماسين القديم".[1]

***مسجد سيدي الحاج علي**: الذي كان محل تقديس ومربط للمريدين، الذي أسس الزاوية التجانية القائمة لليوم، تعاقب على هذا المسجد علماء أجلاء وشيوخ من وادي سوف ونفطة وتوزر.

***الجامع الكبير**: وهو أكبر مسجد بتماسين يحتوي صحنه على 45 قبة صغيرة وبه منبر منقوش عليه تاريخ تأسيسه الذي يعود إلى القرن 18م تحت إشراف معمر بن الحاج علي التماسيني التجاني والحاج محمد السبع المعروف ببابا عيسى[2].

وإلى جانب هذه المساجد التي كانت تنعقد فيها المجالس العلمية والفقهية وتصلى فيها الجمعة، هناك جوامع وكتاتيب قرآنية لا تقل شأنا عن المساجد المذكورة آنفا في أداء الرسالة العلمية، خصوصا تحفيظ القرآن الكريم و من أشهرها:

***جامع سيدي عبد السلام**: هذا الجامع من أقدم الكتاتيب القرآنية، وبعد الاستقلال تحول إلى مسجد جامع تقام به الجمعة بعد إعادة بنائه من جديد.

[1] ـ مختار حساني، المرجع السابق، ص ص 207 ـ208 .
[2] عبد الحميد قادري إبراهيم، التعريف بوادي ريغ، ص 49 .

***جامع سيدي عبد العظيم**: هذا الجامع كان مدرسة قرآنية اعتكف فيه عدد من الحفاظ لتحفيظ القرآن وتعليمه للفتيان[1].

***جامع بن لملوح** : المعروف بجامع الطالب بابا، كان خبيرا في تحفيظ القرآن وترتيله، وقد تخرج منه جيل كامل من حفاظ القرآن الكريم على أيدي قراء مشهورين كان لهم الأثر الطيب في نشر القرآن بين الناس، بالإضافة إلى العديد من الجوامع التي كانت تزخر بها المنطقة من أجل نشر تعاليم الدين الحنيف.

جامع اليتيمة بمستاوة، جامع سيدي فتيتة بالنزلة القديمة، جامع سيدس مبارك الشيخ ،جامع سيدي بوجنان، جامع سيدي العابد ...الخ[2]، كل هذه الجوامع كان لها الفضل الكبير في نقل كتاب الله إلى الصدور وتحفيز الناس على طلب العلم والتفقه في الدين وبفضلها انتشر القرآن بين الناس وأصبحت تقرت وأحيائها وما جاورها تزخر بحفظة القرآن وتصدر إلى المدن الداخلية الأئمة وحفاظ القرآن.[3]

[1] عبد الحميد إبراهيم قادري، تقرت البهجة...، ص ص97ـ98.
[2] عبد الحميد إبراهيم قادري، المرجع نفسه...، ص ص97ـ98.
[3] عبد الحميد إبراهيم قادري، المرجع نفسه، ص ص 99ـ100.

2ـــ2 المشائخ:

عرفت المنطقة عدة مشائخ وأعلام يعود لهم الفضل في ازدهار المنطقة بالعلم والعلماء، وهذا كله راجع إلى أن المنطقة قد نشأت بها منذ القدم حركة ثقافية كانت أولا من الداخل لوجود روح إسلامية عربية لدى أهاليها، ثم تعدت هذه الروح بفضل الصلة الثقافية بينها وبين وادي سوف من ناحية وبينها وبين الجريد التونسي من جهة أخرى، وكان علماء وادي سوف ونفطة وتوزر يوفدون أفرادا وجماعات إلى تقرت وضواحيها، والذين كرسوا حياتهم لخدمة المجتمع وتعليم أبنائهم ومن بينهم[1]:

الشيخ مبارك المازقي التوزري الذي كان يقدم كل سنة إلى بلدة تماسين إحدى واحات تقرت، وينزل بمحل المرحوم الشيخ أحمد بوبكري إذ كان هذا الأخير أيضا فقيها ومحققا ومحبا للعلم والعلماء الأمر الذي جعله يخصص منزلا للوافدين من علماء وادي سوف والجريد التونسي وقد درس كثير من أهل تماسين النحو والصرف والفقه والحديث والفرائض والأصول على يد الشيخ مبارك المازقي، كذلك الشيخ عثمان بن المكي التوزري والشيخ العربي القيرواني، في حين توجد ببلدة تماسين كذلك أسر علماء ومشائخ أمثال احمد الزكيزكي عالما وأديبا ومتصوفا وورعا وقاضيا عادلا محبا للعلم وأهله وكان قد خصص هو كذلك دار لنزول العلماء تسمى دار "لالة مامة"[2] ومن البارزين كذلك محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي اعتكف بالمسجد الكبير بتقرت يدرس ويعلم، ذكره العياشي في رحلته عندما تحدث عن تقرت وفقهائها[3].

ومن البارزين كذلك الشيخ الطاهر العبيدي بن بلقاسم بن عمارة ولد خلال 1886م بولاية الوادي من أسرة فقيرة حفظ القرآن وعمره لم يتجاوز 12 سنة على يد مجموعة

---

[1] إبراهيم بن محمد الساسي العوامر، **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**، ت.ع :الجيلاني بن إبراهيم العوامر، د.ط، الدار التونسية لنشر ،تونس، 1397هـ/1977م، ص31.

[2] إبراهيم بن محمد الساسي العوامر، المرجع نفسه، ص31.

[3] مختار حساني، المرجع السابق، ص203.

من الشيوخ منهم الشيخ علي صابر، عبد الرحمان العمودي وغيرهم واصل دراسته للفقه في العلوم العربية والإسلامية اشتغل كإمام وخطيب بالمسجد العتيق بتقرت كان للشيخ العبيدي منهجية متبعة في التدريس تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

أولا: تعليم ديني مسجدي يشبه إلى حد كبير التعليم في الأزهر و الزيتونة حيث يعتمد على الحفظ و التحليل.

ثانيا: تعليم لغوي مسجدي وهذا النوع من التعليم يقبل عليه عدد كبير من أبناء المنطقة الذين حرمهم الاستعمار منه و الطريقة المتبعة هي طريقة تقليدية تعتمد على السرد آنذاك.

ثالثا: تعليم ديني لغوي ويتمثل في تفسير القرآن الكريم حيث كانت تعقد حلقات للتفسير بعد كل صلاة مغرب ويحضرها عدد هائل من الرجال والنساء[1]. وكذلك الشيخ محمد الطاهر بن عمر بن دومة ولد سنة 1918م بتبسبست وقد درس القرآن بمسجد سيدي عبد الغفار وذلك على يد معلمه الطالب محمد الصغير مجوجة وتخرج حاملا لكتاب الله تعالى سنة 1937م وكان يغرف من العلوم الدينية على يد عدة علماء منهم: الشيخ الطاهر العبيدي، وغيرهم وقام بالتدريس في عدة مساجد للعامة والخاصة، وكذلك من شيوخ المنطقة الشيخ الساسي بن عبد الرحمان ولد تقريبا سنة 1825م وأخذ العلم على الشيخ أحمد دغمان القماري بالوادي وكان شيخ علم حيث درس في مسجد سيدي عبد الغفار بتبسبست وقد قام بنفسه بتأسيس المسجد المذكور وتوفي سنة 1914م بمسقط رأسه رحمه الله[2].

والطالب أحميدة بن محمد قرميط وهو من مواليد 1840م بتبسبست، وكانت دراسته للقرآن الكريم على يد الطالب حمودة بوعزيز، وقام بتدريس القرآن الكريم بمسجد سيدي

[1] رضوان شافو، المرجع السابق، ص ص 153-159.

[2] محمد الطاهر عبد الجواد، **مقتطفات من حياة بعض مشائخ العلم ومعلمي القرآن الكريم**، د.ط، د.ن، تقرت،الجزائر، 1986م، ص ص3-4

عمر، وأستعمل إمام الجمعة للمسجد العتيق بتبسبست لفترة قبل الاستقلال توفي في 1922م رحمه الله.

والطالب الجمعي بن محمد الطاهر بلعيد ولد في 1911م بتبسبست، ودرس القرآن على يد الطالب أحمد عرعار، كما تلقى علوم الدين على يد الشيخ التجاني نصري وتوفي في سنة 1977م رحمه الله وغيرهم، ولهؤلاء جميعا الفضل في نشر الفضيلة ومحاربة الرذيلة والحفاظ على القرآن الكريم العظيم ونشره بين الأفراد وتوريثه للأجيال.[1]

[1] محمد الطاهر عبد الجواد، المرجع السابق، ص5.

3ـــ العقائد والعبادات:

3ـــ1 المذاهب:

عاشت المنطقة كبقية المناطق على مذهب الصحابة والتابعين في عبادتهم ومعاملاتهم وعقائدهم إلى إن دخلت المنطقة تحت الدولة الرستمية على المذهب الإباضي، الذي انتشر انتشارا واسعا في المنطقة، فيقول ابن خلدون:"(...) أكبر هذه الأمصار تسمى تقرت مستبحر العمران بدوي الأحوال كثيرة المياه والنخيل وبعد مدينة تقرت تماسين وهي دونها في العمران والخطة ومعظم سكان هذين القسمين إباضية عزابة ونكارية". وبعدها جاء أقوام آخرون على إثر حملات وغارات الحفصيين وبن حماد، عندها تحول معظم السكان إلى المذهب المالكي. والأخذ بعقيدة الأشعرية كبقية سكان المغرب العربي، حيث ساد المذهب المالكي على كتابات المدونة برواية أبي القاسم، واعتمدوا في الفقه على كتب مجتهدي السادة المالكية كمختصر الشيخ خليل وشراحه، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني وشراحها، ومقدمات ابن رشد، وخصوصا الذين يستمدون فتاويهم وأصول المذهب من المدونة، وفي العقيدة اخذوا بعقيدة الأشاعرة الذين يقولون برؤية الله يوم القيامة والكسب ونفي الظلم عن الله سبحانه وتعالى، ولازال المذهب الإباضي يجاورهم إلى اليوم لكنه محصور في فئة قليلة لا زالوا مرتبطين بوادي ميزاب.[1]

3ـــ2الزوايا والطرق الصوفية:

لم يكن بالإقليم طريقة صوفية في بداية الأمر كما لم تظهر بشكلها الذي عرفت عليه في العصور المتأخرة، وإنما كان التصوف يتمثل في التقى والصدق ونبذ حياة الدنيا والزهد فيها، ثم تحول هذا التصوف فيما بعد إلى مدرسة أو زاوية[2] قائمة بذاتها تتميز

[1] عبد الحميد إبراهيم قادري،تقرت البهجة، ص ص111-112

[2] الزوايا مفردها زاوية وهي مشتقة من فعل إنزوى ، ينزوي بمعنى اتخذ ركن من أركان المسجد للاعتكاف والعبادة كما أنها ماخودة من فعل زوى أزوى بمعنى ابتعد وانعزل كما في كتب اللغة وسميت كذلك لأن الذين فكروا في بناءها

بآدابها وعلومها وذلك بعد أن تحول سكان وادي وريغ إلى المذهب المالكي، حيث كان ولا يزال لهاته الزوايا رسالة سامية تمثلت في المحافظة على الإسلام و تعاليمه وذلك بالتركيز على القرآن الكريم و العناية بشتى العلوم الشرعية واللغوية. ولم تكتف الزوايا بالاهتمام بهذا الجانب بل تعدته إلى الجوانب الاجتماعية حيث أصبحت مقصدا لعابري السبيل، ودار القضاء التي يفصل فيها النزاعات، ومقصد الأعمال الخيرية التي تعنى بالشؤون العامة للمجتمع[1]، حيث لعبت دورا دينيا وتعليميا واجتماعيا متكاملا. وبها ازدهرت الصحراء بسلسلة من الزوايا وعظم شأنها وزادها حتى تحولت بعضها إلى مدن[2]. ومثل هذه الزوايا نأخذ:

***الزاوية التجانية بتماسين:**

تعد من أهم وأكبر الزوايا التجانية بالعالم العربي الإسلامي، وذلك لدورها المحوري الكبير الذي لعبته منذ تأسيسها سنة 1217هـ / 1803(1805)م على يد الشيخ سيدي الحاج على التماسيني[3]، بإذن من مؤسس الطريقة التجانية الشيخ سيدي أحمد التجاني ومنذ ذلك الوقت والزاوية تشهد توسعات كبيرة ومتعددة بفضل خلفاء الإمام التماسيني، والتي بدأها الشيخ سيدي محمد العيد "1815 – 1875 م"[4] الذي قام بتأسيس

أول مرة هم الصوفية الذين اختاروا الإنزواء بمكانها والابتعاد عن صخب العمران وضجيجه طلبا للهدوء والسكينة اللذان يساعدان في التأمل ويناسبان جوا الذكر و العبادة ، ينظر عقبة السعيد ، **الزاوية التجانية بتماسين ودورها الاجتماعي بالمنطقة خلال القرن 19م**، أعمال الملتقى الوطني حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين "18-19م" من خلال المصادر المحلية أيام 24- 25 جانفي 2012م، دور نشر، المركز الجامعي بالوادي، الجزائر، ص6.

[1] عقبة السعيد، المرجع السابق ، ص 1.

[2] مولاي بالحميسي ، المرجع السابق ، ص 30

[3] هو سيدي الحاج على الينبوعي التماسيني ولد عام "1180م / 1766م" تربى في أحضان والديه حفظ القرآن الكريم وهو طفلا ونشأ على التصوف زار الشيخ أحمد التجاني في عين ماضي ثم في فاس وأخذ الوصية منه لكي يكون هو حامل البركة من بعده توفي 1260 هـ/ 1844 م، ينظر: عبد العزيز شهبي، **الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر**، د.ط، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2007 م، ص 141.

[4] هو أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن سالم التجاني ولد عام 1150هـ / 1737 م بقرية عين ماضي ولاية الأغواط، حفظ القرآن سافر إلى مدينة فاس المغربية لأخذ العلم ظل متنقلا يأخذ الأوراد والأذكار الصوفية فاخذ الطريقة القادرية والناصرية والطيبية والرحمانية وكذلك الشاذلية أثناء توجهه إلى الحج وبعدها أسس في فاس أول زاوية لنشر

المسجد الجامع الذي يعرف اليوم بمسجد سيدي الحاج علي التماسيني، كما قام ببناء قبة ضريح والده لأول مرة وذلك سنة 1284 هـ/1868م والمدرسة القرآنية التي كانت تقوم بتحفيظ القرآن الكريم للطلبة، وهكذا قام كل خليفة من خلفاء الزاوية بترك بصماته في مجال البناء والتشييد وجلب العلماء والنهوض بالجوانب الاجتماعية والفكرية، وقد بلغ نشاطها العلمي والفكري شهرة واسعة في الجزائر وخارجها، خاصة في البلدان المجاورة كتونس والمغرب الأقصى وغيرها من البلدان، حيث درس فيها الكثير من العلماء من داخل الوطن وخارجه[1]، وبهذا أعطت الزاوية التجانية مركزا مهما لمنطقة تماسين بل أصبحت بمثابة العاصمة الروحية والدينية لإقليم وادي ريغ بأكمله، وقد كان لرجالها دور فعال في التواصل بين العلماء فيما بينهم، فالصلة بينها وبين تونس متمثلة في انتشار مبدأ التصوف للوالي الصالح الشيخ أحمد التجاني بواسطة الشيخ الحاج علي التماسيني وخلفه[2].

وكانت تقام بها الدروس والحلقات العلمية في مختلف العلوم الدينية واللغوية كالفقه والتفسير والحديث النبوي الشريف في مختلف العلوم الدينية واللغوية كالفقه والتفسير الحديث النبوي الشريف وعلوم اللغة والتصوف والسيرة النبوية والتاريخ ومن بين العلماء الذين قاموا بمهمة التدريس بالزاوية نذكر العلامة الفقيه سيدي السعيد الفاسي، العلامة الفقيه سيدي الأخضر بن حمانة القماري السوفي، العلامة محمد بن عمار التغزوتي، العلامة المقري سيدي محمود بن سيدي الطاهر التماسيني، سعيد الدكالي المغربي وغيرهم، وما تزال الزاوية التجانية بتماسين اليوم محافظة على نشاطها الروحي والعلمي والاجتماعي، وذلك بفضل المجهودات الكبيرة التي يبذلها شيخ الزاوية الحالي الدكتور سيدي محمد العيد التجاني التماسيني[3].

طريقته التي جمع فيها خلاصة الطرف الصوفية السابقة وذلك سنة1215هـ/1799م، توفي سنة 1230 هـ/1815 م، ينظر: عبد العزيز شهبي ، المرجع السابق، ص ص 137 - 139

[1] السعيد عقبة ، المرجع السابق، ص1

[2] إبراهيم بن محمد الساسي العوامر، المرجع السابق، ص 32

[3] السعيد عقبة، المرجع السابق، ص2

فهي تحتوي على مدرسة قرآنية تعتني بتحفيظ القرآن الكريم للطلبة وتؤدى فيها الصلوات الخمس، وصلاة القيام في شهر رمضان المبارك ومازالت منذ نشأتها محافظة على حلقات الذكر المعروفة في الطريقة التجانية "الوظيفة و الهيللة" والقراءة الجماعية للقرآن الكريم وتحتوي على مكتبة علمية تضم آلاف الكتب والمصنفات العلمية في مختلف التخصصات الدينية والأدبية والعلمية، كما تحي الزاوية التجانية بتماسين المناسبات الدينية كالمولد النبوي الشريف، ليلة القدر وذكرى الإسراء والمعراج، كما تبرم فيها مراسم الزواج كما ترك سيدي الحاج علي التماسين وصية لأبنائه ومورثيهم يقول "المسيحة واللويحه والسبيحة حتى تطلع الرويحة" وكل كلمة أعطى لها معناها المسيحة وتعنى العمل واللويحة وتعني العلم "القرآن الكريم" والسبيحة وتعني الذكر "العبادة" والرويحة بمعنى حتى تطلع الروح لله سبحانه و تعالى[1] أما دورها الاجتماعي فيتمثل في: حل الخلافات وفك الخصومات – قضاء حوائج الناس والشفاعات – مساعدة الفقراء والمحتاجين خاصة في أوقات الشدائد – مساهمة الزاوية في بناء المدارس والمؤسسات العلمية والثقافية- المحافظة على العادات والتقاليد فهي بذلك تشكل معلما من المعالم الدينية والثقافية والاجتماعية في الجزائر[2].

أما بالنسبة إلى الطرق الصوفية فنذكر منها:

***الطريقة القادرية:**

إنها أول طريقة دينية صوفية ظهرت في العالم الإسلامي، وسميت بالقادرية نسبة إلى مؤسسها الشيخ محي الدين أبي محمد عبد القادر الجيلاني المولود في جبل أوجلان بالقرب من مدينة بغداد عام 471هـ /1078م والمتوفى عام 561هـ/ 1166م ببغداد، وهناك توجد الزاوية الأم، وتعتمد تعاليم القادرية على العلم والاختلاف والصبر والاتفاقات

[1] عبد الباسط التجاني، مقابلة شخصية، 2012/02/16م.
[2] السعيد عقبة، المرجع السابق، ص6

والصدف وذكر الله، وحب الناس والابتعاد عن شؤون الدنيا "الملذات" وتتسم بالتساهل والتسامح مع الأديان الأخرى، حيث كان المؤسس يردد دائما قوله "ينبغي علينا أن ندعو لأنفسنا فحسب ولكن لكل من خلقه الله مثلنا"[1]. كما اعتبر القادرية بمثابة القاعدة لمختلف الطرق الصوفية التي جاءت بعدها، ويعتبر شعيب بن حسين الأندلسي المعروف بابي مدين دفين تلمسان والمتوفى عام 594 هـ/1197 م هو الذي أسس مدرسة التصوف السني وناشر الطريقة القادرية في المغرب والأندلس تفرغ في حياته للعلم والإصلاح والتوحيد في القرن 19م. كان شيخ القادرية في الجزائر هو الحاج محي الدين والد الأمير عبد القادر، و قد تفرقت القادرية في الجزائر وانتشرت في مختلف أنحاء القطر الجزائري في أواخر القرن 19م ظهرت لها فروع في الشرق والجنوب الجزائري وقد أسس لها الشيخ الهاشمي زاوية بتقرت كانت تقوم على تحفيظ القرآن الكريم وتدريس العلوم الشرعية، وكثر أتباعها بناحية المغير وسيدي عمران و تقرت حيث الزاوية. وكانوا يستمدون بركاتهم من الشيخ الهاشمي بوادي سوف أما أذكارهم من ورد الشيخ عبد القادر الجيلالي، كما كان لها دور بارز في مقاومته الاحتلال الفرنسي أثناء توغله في الصحراء، الذي كان في مقدمتها الأمير عبد القادر الذي تزعم المقاومة المسلحة ضد فرنسا وأنشأ دولة جزائرية وتحققت على يديه الوحدة الوطنية[2].

***الطريقة الرحمانية:**

تنتسب إلى الشيخ عبد الرحمان الأزهري الزواوي الجرجري المتوفي في1208هـ/1793م من قبيلة آيت إسماعيل أسس بقريته زاوية وأخذ ينشر أفكاره وطريقته وقبل وفاته عين خليفة له على الزاوية هو الشيخ علي بن عيسى المغربي، وقد

[1] فيلالي مختار الطاهر، **نشأة المرابطين والطرق الصوفية** ...، ط1، دار الفن الجرافيكي للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر، د.ت، ص35.
[2] فيلالي مختار الطاهر، المرجع السابق، ص38.

كان ينوبه في منطقة الشرق والجنوب الجزائري محمد بن عبد الرحمان باشا تارزي[1]، وقد كان مقدم في قسنطينة وقد تحالفت الرحمانية مع القادرية على الجهاد ضد الاحتلال منذ 1830 م، كما انتشرت الرحمانية بسرعة، وفي عهد علي بن عيسى المغربي استقلت فروع الرحمانية في المناطق الشرقية والجنوبية من الجزائر عن الزاوية الأم وربما السبب يعود لبعدهم عن المركز وفروعها في قسنطينة التي كانت تحت يد الشيخ محمد باش تارزي فقد ورثه لأبناء عائلته وورث بركة الطريقة أيضا للشيخ محمد بن عزوز البرجي ببرج طولقة وكان مقدما للرحمانية بنواحي بسكرة فاشتهر وكثر أتباعه في الجنوب وصولا إلى وادي ريغ مع العلم أنها كانت أقدم طريقة به. إلا أن هناك من يقول بان في تقرت كانت هناك زاوية رحمانية أو عزوزية نسبة إلى محمد بن عزوز، وهناك من ينفي هذا القول على أساس أن المنطقة كانت قريبة من مقر إقامة الشيخ بن عزوز أو لقربها من فروعها زاوية سيدي سالم بالوادي[2].

***الطريقة الطيبة:**

هي من أقدم الطرق الصوفية التي كانت منتشرة بتقرت وأكثرها، ولكنها في السنوات الأخيرة لم تعد تذكر وتوقف العمل بها يعود لغياب المسنون والشيوخ ولم يتوارثها الأبناء والأحفاد[3].

***الطريقة العمارية:**

نسبة إلى صاحبها عمار بوسنة، يتميز أتباع الطريقة بالألعاب البهلوانية واستخدام فوارق العادات كأكل النار والطعن بالسكاكين في حالات الجذب والرقص والصراخ على نغمات الناي "القصبة" والبندير ويميل أصحابها إلى الشعوذة وأكثر أتباعها هم المناطق

[1] عبد العزيز شهبي، المرجع السابق، ص126.
[2] عبد العزيز شهبي، المرجع نفسه، ص ص 127- 129
[3] عبد الحميد إبراهيم قادري ، تقرت البهجة ....، ص 116

الأمية الذين لا يقرؤون ولا يكتبون ويقال أن سيدي العابد دفين الزاوية هو الذي أجازه شيخه بنشرها في أيام كانت بثوبها النظيف على أساس أن مؤسسها الذي كان مقدم للطريقة القادرية قد وضع شروط للدخول معه وهي ذكر كلمة التوحيد مائة ألف مرة وصيام أربعين يوم تطوعا لكن مريدي هذه الطريقة ابتدعوا بعده تلك الألعاب السابقة الذكر[1].

[1] عبد الحميد إبراهيم قادري ، التعريف بوادي ريغ ، ص 55

1/ الزراعة:

من أسباب استقرار البشر وعمارتهم لمنطقة وادي ريغ واختيارها كموطن للإقامة، توفرها على المياه الصالحة للزراعة والتي اعتمدوا عليها أيضا في معيشتهم منذ القدم. إن الزراعة هي المورد الاقتصادي لأغلبية سكان المنطقة لأنها ساهمت في استقرار الكثير منهم بها رغم صعوبة الطبيعة الصحراوية، وندرة مياه الأمطار. إلا أن الفلاحين والمزارعين استطاعوا أن يعمروها بذكائهم وذلك بواسطة استغلال واستنباط المياه الجوفية التي اكتشفوها وأنشؤوا الواحات الخضراء الوافرة الظلال، و بتعاقب الأزمة واستقرار الفلاحين وارتباطهم بالأرض أصبحت المنطقة عامرة يضرب بها المثل مما جعلها مقصدا للمهاجرين ومأوى للمسافرين والعابرين من مختلف الفئات و محل نزول قبائل عديدة جاءت من كل الجهات، خاصة من الأقاليم المجاورة والذين أصبحوا فيما بعد يشكلون سكان المنطقة[1]. وأهم مكونات الثروة الزراعية تتمثل في النخلة التي إهتم السكان بغرسها في شكل فسائل سميت بالحشاشة وبعد غرسها تسمى بالجبارة "اللينة"[2] وعندما تكبر وتثمر تصبح نخلة[3]، وفي هذا الصدد يقول فون مالتسان: "إن إقليم وادي ريغ عرف بكثرة النخيل ، فواحة تمرنة احتضنتنا بظلال نخيلها الشامخ(...) وواحة غمرة أيضا غنية بالنخيل(...)"[4]، أما شارل فيرو يقول: " تضم تقرت على الجانب الغربي من واحتها قرابة الأربعة مائة ألف نخلة هذا دليل على أنها واحة كثيرة النخيل"[5]. حقا أن شجر النخيل يعتبر أساس العمران في إقليم وادي ريغ. إلا أن نوعية التربة والأرض التي يتميز بها الإقليم كذلك جعلها تتنوع في المحاصيل الأخرى. فالفلاحة لم تكن تتمثل في استغلال

[1] عبد الحميد إبراهيم قادري،التعريف بوادي ريغ ، ص ص 40-41.
[2] سورة الحشر الآية 5.
[3] عبد القادر نوحة ، المرجع السابق ، ص 58
[4] هاينريش فوق مالتسان ، المصدر السابق ، ص ص 142-145.
[5] feraud cherls, op.cit, p56.

النخيل فقط بل في زراعة بعض المنتجات الاستهلاكية الأخرى في المساحات المروية من الواحة ومن هذه المحاصيل نجد:

من الحبوب الذرة، الفول، الشعير ...، ومن الخضر نجد البطاطا، الفلفل، الطماطم، البصل، الجزر، الخردل، الثوم، السلق، الباذنجان ...، أما من التوابل لدينا الكزبرة، حبة الحلاوة، الحلبة، البسباس ...، وأخيرا من الفواكه والأشجار المثمرة ينتج البطيخ بأنواعه، التين، الزيتون، الرمان، المشمش، التفاح، التمر ...،[1] وهنا يقول ابن الدين الأغواطي في رحلته: "تعتبر تقرت بلدة الثروة والرخاء فهي تنتج التمر والتين، العنب، الرمان، التفاح، المشمش، والأجاص، وغيرها من الفواكه"[2].

على الرغم من هذه المزروعات التي تنتجها المنطقة أو الإقليم بكميات نسبية لسد حاجيات الأهالي إلاّ أن غراسة النخيل بقيت متغلبة على باقي المحاصيل الأخرى[3] وذلك لما يقدمه النخيل من ثروات هائلة لأصحابه، فقد كان الأهالي يستفيدون منه في جميع متطلبات حياتهم إن لم نقل بأنها كانت مرتبطة وتعتمد على النخيل بعد الماء لأنه ثروة بلادهم ومورد حياتهم، فالتمور لوحدها تعد ارتكاز النشاط الاقتصادي للمنطقة، فمنه يقتاتون ويخزنون ويبيعون ويتاجرون[4]. حيث تشمل الواحات الجزائرية على نحو خمسة آلاف وخمس مائة ألف نخلة مثمرة منها سبع مائة وثمانين ألف نخلة تنتج نوعا من التمر معروف بدقلة نور وهو افخر وأفضل أنواع التمور، وعموما تنتج الواحات حوالي ألف وخمسة مائة ألف قنطار من التمر يرسل منه نحو مائة وخمسين ألف قنطار للخارج[5]. كما كانوا يخصصون مكانا من البيت أو غرفة منه للتمر، وتقسم حسب أنواع التمر ويفصل

[1] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص542.
[2] الحاج ابن الدين الأغواطي، المصدر السابق، ص263.
[3] إسماعيل العربي، **الصحراء الكبرى وشواطئها**، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983 م، ص 152
[4] الحاج أحمد بن السايح مجوجة، استجواب شخصي، من طرف السيدين محمد الطاهر عبد الجواد و مخلوف شاكو، تقرت، 1993/12/25 م.
[5] أحمد توفيق المدني ، **كتاب الجزائر** ، د.ط ، دار البصائر، الجزائر، 2009م. ص 477.

فيما بينها، أي بين التمر التي يتخذها الفلاح لنفسه كعولة وبين التي ستباع ويتاجر بها، ويستخرج أيضا من هذه التمور حتى العسل لكن من نوع خاص وهو الغرس، لأن للتمور أنواع وأنماط عديدة منها:

الغرس[1]، دقلة نور[2]، دقلة بيضاء، تينيسين، طنطبوشت، تفزوين، تأتي، اليتيمة "ليتيمة"، بوعروس"إصبع العروسة"، لعجينة، ظفر لقط، اللولو، الحلوة "الحلوى"، تاودانت، الحمراية، العماري[3]، كونتيشي، الأرشتي، دقل مغص، الفطيمي، دقلة راشد، بيض حمام[4] ... الخ. حتى أن نوى التمر كان لا يرمى بل كانوا يجمعونه ويعلفون به البعير أو يباع إلى أصحاب الرعي لأن الماشية كانت تعلف من نوى التمر أيضا[5] هذا بالنسبة للتمر. كذلك يستخرج من النخيل إلى جانب التمور ما يسمى بالجمار وأيضا مشروب يسمى باللاقمي، وهنا يقول الأغواطي: "وهناك مشروب اللاقمي وهو شائع بين سكان تقرت وهم يستخرجونه من فروع النخيل بعد قطعها و الضغط عليها (...) وهذا الشراب يباع بمكاييل في الأسواق"[6]، والواقع أن هذا المشروب لا يستخرج من الفروع وإنما من قلب النخلة (الجمار) مع العلم أن بعد قطعها تموت النخلة، ولهذا لا يستخرجون من النخيل الصغير بل من النخيل الذي لم تعد الاستفادة منه كثيرا. ولا تتوقف زراعة النخيل عند التمر

---

[1] ينظر إلى الملاحق من أنواع التمور المنقر الملحق(13).

[2] أصل هذا النوع من التمور يعود إلى سنة "600 هـ" "1300م" حيث كانت هناك امرأة صالحة بهريرة " تقع شمال تقرت وتبعد عنها حوالي 20 كلم" تسمى نورة يقصدها الزوار من كل مكان للتبرك بها لدعوتها الصالحة المستجابة،= =فذهبت هذه المرأة لقضاء فريضة الحج وجلبت معها من المدينة المنورة نوع من التمر يسمى "لينة" وهو نوع جميل زرعت منه النوى فنبتت وأنتجت نوع من التمر أطلق عليه اسم دقلة لالة نورة فكان الأهالي يأخذون منه للتداوي والبركة ولم يكتفي الأهالي بذلك وصاروا يأخذون فسيلا منها ويغرسونه في غابات النخيل وصارت النخلة الواحدة ينبت بجانبها أكثر من 20 فسيلة "حشانة" وهكذا إلى غاية أواخر القرن 10 هـ انتقل هذا النوع إلى الجريد بتونس وبعده إلى بسكرة وبعده إلى سوف، وقد اختزل اسمها فصار دقلة نورة ثم إلى دقلة نور. ينظر : محمد الطاهر بن دومة ، المصدر السابق ، ص 33 .

[3] الحاج أحمد بن السايح مجوجة، استجواب شخصي، من طرف السيدين محمد الطاهر عبد الجواد و مخلوف شاكو، تقرت، 1993/12/25 م.

[4] عبد الحميد إبراهيم قادري ، التعريف بوادي ريغ، ص41.

[5] الحاج أحمد بن السايح مجوجة، استجواب شخصي، من طرف السيدين محمد الطاهر عبد الجواد و مخلوف شاكو، تقرت، 1993/12/25 م.

[6] الحاج ابن الدين الأغواطي، المصدر السابق، ص 265.

والجمار ومشروب اللاقمي فقط بل حتى جذعها يضمن الدفء والوقود ومن خشبها يتخذ سقف البيت وأبوابه وأثاثه ومن سعفها يصنع السلاسل والمضلات والسجاجيد.... وغيرها من الحرف التي سنتطرق لها في الجانب الصناعي. لقد كان بالفعل للنخيل دور كبير في حياة أهالي وادي ريغ موطن النخلة. وبدورها مصدر قوته وزرقته، وأما تلك المنتجات الأخرى فهي إلا منتجات ثانوية[1] ولكي نتحصل على أوفر وأفضل منتوج يجب العناية بالأرض وخدمتها بشكل جيد، لأنه قد تصيبها بعض الأمراض التي تؤثر على النخيل أو الغابة بصفة عامة مثل القصب أو نبات اللواي وغيرها وحتى الخنزير الذي ظهر في الآونة الأخيرة الذي وجد في القصب المكان المناسب للاختباء والعيش بينه،ولهذا يجب على الفلاح أن يكون منتبها لمثل هذه الأمور التي قد تنقص من منتوجه الزراعي أو تؤدي إلى إتلافه نهائيا في بعض الأحيان. ودائما قبل أن يقوم الفلاح بزراعة أي منتوج يقوم أولا بتقليب الأرض جيدا ثم يعالجها بالأسمدة، ولهذه العملية طريقة خاصة ثم تزرع الأرض بشتى المنتجات إما شعير أو فسائل "شتلة" فلفل أو طماطم وغيرها، ثم في الأخير تسقى الأرض، والشيء المهم في هذه العملية كلها هو التأكد من تقليب الأرض من أجل تهيئتها لعملية الزرع، لأن من خدم الأرض جيدا يحصل على منتوج أفضل وهذا يعود على حسب نوعية الأرض وتربتها إذا كانت صلبة أو هشة.

كذلك عملية سقي غابات النخيل تتم بنظام خاص حتى يتمكن كل فلاح من سقي نخيله وزرعه، ويأخذ هذا السقي أوقات معينة و فترات معلومة لكل فلاح، حتى يتمكن كل الفلاحين من سقي غاباتهم. ولأوقات السقي ومدتها أسماء مختلفة منها : الفرقة، التيمون " الثمن" ،النوبة، الخروبة، الربع.... وغيرها، فمثلا "النوبة" مدتها ستة ساعات أما الثمن مدته تسعة أدراج و الدرج يعادل خمسة دقائق أي مدة الثمن خمسة وأربعون دقيقة. أما

[1] عبد الحميد إبراهيم قادري، المرجع السابق، ص 41.

الخروبة مدتها أربعة أدراج ونصف أي اثنان وعشرون دقيقة وثلاثين ثانية[1]، وعموما يعتمد الفلاحون على المياه الجوفية للسقي وكان ذلك عن طريق إنشاء العيون والآبار التقليدية لاستنباط واستخراج هذه المياه وكان هذا العمل يقوم على عادة التويزة المتعارف عليها كما شهدنا سابقا. لكن فيما بعد عرفوا الآبار الارتوازية التي توفر مجهود تدخل الإنسان لرفع الماء ليروي النخيل و الأشجار وبالتالي اقتصاد كبير في الجهد البشري[2].

وزمن الحراثة والزراعة يكون بالمواسم أو الفصول ففي فصل الشتاء يزرع الشعير والفصة والخردل والسلق، أما في فصل الربيع يزرع الفلاحون الفلفل، البصل.... وفي الخريف كذلك تهيأت أعمال الزرع التي تنتج في الشتاء[3] وهنا يقول الأغواطي "الحراثة في تقرت هي شهر أكتوبر وشهر ماي"[4].

كما أنّه على الفلاح أن يقوم بتنظيف الغابة والعناية بها كما ذكرنا سابقا إضافة إلى القصب والحشائش وغيرهما عليه بتقليم الأشجار والنخيل مثل العراجن والجريد اليابس الذي ينزع فإنه لا يرمي وإنما أيضا يستفاد منه فإما أنه يستعمل لإحاطة به الغابة و سترها وتعليم حدودها أو أنّه يباع وفي الغالب إلى أهالي الطيبات أو الوادي لأنهم يستخدموه في حرق الجبس أيضا[5].

---

[1] الحاج أحمد بن السايح مجوجة، استجواب شخصي، من طرف السيدين محمد الطاهر عبد الجواد و مخلوف شاكو، تقرت، 1993/12/25 م.

[2] إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 141

[3] لجنة الشؤون الاجتماعية و الثقافية مع لجنة الحفلات لبلدية تبسبست، مسح جزئي لتراث بلدية تبسبست دائرة تقرت ولاية ورقلة، 1993/12/29.

[4] الحاج ابن الدين الأغواطي، المصدر السابق ، ص 265.

[5] لجنة الشؤون الاجتماعية و الثقافية مع لجنة الحفلات لبلدية تبسبست، مسح جزئي لتراث بلدية تبسبست دائرة تقرت ولاية ورقلة، 1993/12/29.

2/ الصناعة:

عرف سكان وادي ريغ منذ القدم الصناعات التقليدية، والتي تقوم على الحرف اليدوية المحلية، فأنتجوا كل ما يحتاجونه في بيئتهم[1] من الأنسجة الصوفية البرانس والقشاشب والأغطية وستار الرأس "بخنوق"، ومن الطين مواد البناء والأواني المنزلية وغيرها، ومن سعف النخيل وخشبه القفف والمظلات والأطباق والأقفاص ...الخ[2]، وأخيرا من بالجلود تصنع قِرب الماء ومن أوبار الجمال العفافين "مفرد عفان[3]" ولا يزال هناك الكثير من الصناعات الأخرى التي تقوم على هذه الحرف اليدوية وجميع هذه الأنشطة مخصصة للاستهلاك المحلي وللبيع معا حيث تعرض للبيع في الأسواق الأسبوعية والساحات العمومية،[4] وإن كانت هناك بعض الصناعات تصدر إلى الخارج إلا أنها بقيت ضعيفة جدا مقارنة بالصناعات الأخرى التي تعتمد على المعامل الكبيرة بما في ذلك الصناعة الأوربية[5]، لأنه في الأخير تبقى أهم صادرات سكان وادي ريغ هي التمور في المقام الأول و الأخير[6]، وكانت تمارس هذه الحرف اليدوية في المنازل أو في المحلات الخاصة لهذا الغرض منها الآتي:

*الغزل والنسيج:

هذا النوع من الصناعة كانت النساء يحترفنها في البيوت خلافا عن بعض المناطق الأخرى من الوطن حيث يشتغل بالنسيج النساء والرجال معا. وأنسب وقت تتم فيه بهذه المنسوجات عادة هو فصل الصيف حيث النهار الطويل، ومن المنتجات التي اشتهرت بها المنطقة في صناعة الحنبل أو الحولي وهو الفراش الوثير والغطاء الدافئ في الشتاء،

[1] عبد الحميد إبراهيم قادري، تقرت البهجة، ص 292.
[2] محمد الصغير بن العمودي، المرجع السابق، ص 13.
[3] عبد القادر نوحة، المرجع السابق، ص 60.
[4] محمد الصغير بن العمودي، المرجع السابق، ص 13.
[5] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 484.
[6] عبد القادر نوحة، المرجع السابق، ص 60.

ولأهميته فإنه يدخل في صداق المرأة، البرنوس الذي يعطي عنوان الرجولة ورمز الهمة وهو الفراش والغطاء في السفر. ثم القشاشيب "القشابية" والقندورة وستار الرأس "البخنوق" وكل هذه الأنواع تنتج في جميع القرى والمداشر بقدر الاكتفاء الذاتي وربما يصدر البعض منها[1].

هذه الأنسجة الصوفية تقوم على الثروة الحيوانية التي لها دور كبير في الإنتاج الصناعي، ومن ذلك صوف الغنم ووبر الجمال التي قبل أن يتم نسجها و تصنيعها أن تمر بالعملية التالية وذلك بعد تجزية الصوف تأخذ لتنقى من الحصى والأعواد وغيرها من الشوائب العالقة بها، لأن الغنم معروف أنه ينام أو ينبطح في أي مكان قد يكون غير نظيف. ثم تغسل بعد ذلك وتجفف لكن في حالة ما إذا كانت هذه الصوف ستستعمل لنسج البرانس قبل تجفيفها تجبس أي أنها تضاف إليها مادة خاصة تسمى عند الأهالي بالبرّيق[2] الذي يسمى استخراجه من تحت الأرض وهذا الأخير يحرق بالنار ثم يدق ويرحى أو يسحق ثم يضاف له الماء و يترك لمدة معينة حتى يصبح مستحلب مثل اللّبن بعدها يسكب على الصوف المغسول ويترك حتى تجف الصوف وبعدها يصبح لها لون أبيض يميل إلى الصفرة. وبعد هذه العملية يتم تفكيكها على بعضها البعض ثم يجلبون أداة خاصة تسمى بالمشط[3] وتوضع عليها الصوف وتسحب وكأنها تمشط، وهي أصلا من أجل مشطها. ثم يأتي دور أداة أخرى تسمى بالقرداش[4] وبها يمكن جعل الصوف مثل القطن ثم تلف وتجمع من أجل الغزل وتسمى بالجباید بعدها تغزل بالمغزل[5] إلى عدة أنواع من الخيوط، فالخيوط الرفيعة والمتينة تنسج برانس و قشاشب وبخانق وغيرها،[6] وخيوط النسيج أيضا

[1] عبد الحميد إبراهيم قادري ، التعريف بوادي ريغ ، ص 42

[2] وهو شبيه بالحصى الصغير الذي يستعمل في بالبناء اليوم ولشدة لمعانه يسمى بالبريق.

[3] هي عبارة عن خشبة مستطيلة الشكل في إحدى أطرافها توجد مسامير .

[4] هي عبارة عن خشبتين مربعتي الشكل ولكل واحدة يد تمسك منها وكلاهما يحتويان على مسامير صغيرة وقصيرة انظر إلى الملحق رقم(14)أداة القرداش.

[5] ينظر الملحق رقم(15) أداة الغزل.

[6] ميهاني مبروكة، مقابلة شخصية، تقرت، 18-04-2012.

تستخرج من نفس الصوف ولها حجمها الخاص وتسمى بالقيام، وخيوط الأفرشة والأغطية تكون أسمك من خيوط البرانس وينسج بها حتى الزرابي، ولكن قبل نسجها تصبغ بألوان مختلفة وبطريقة خاصة أيضا وبعدها تصبح جاهزة للنسيج وتسمى بالطعمة[1].

***صناعة سعف النخيل**:

يعد النخيل مصدر حياة الإنسان الريغي، فلم يستفد من تموره فقط بل استغل كذلك الفلاح هيكل النخلة في جميع شؤون حياته سواءا من سعفها وجريدها و عصيها وأخشابها وليفها الكثير والعديد من الصناعات التي تضمن له حياة الاستقرار والأمن. فصنع من عصيها الأقفاص والأسرة وكذلك استخدموه حتى في تسقيف المنازل، ومن خشبها صنعوا الأبواب بعض الأثاث المنزلية وبه كانوا يحتطبون كذلك، ومن ليفها تصنع الحبال وأيدي القفاف و السلال وغيرها، ومن جريدها و سعفها المضلات والمساجد والحصائر والمراوح وبعض الأواني المنزلية من سلال وقناني للشرب وقفاف[2] "القراوي" وغيرها[3]، بالإضافة إلى الأطباق والصناديق الصغيرة التي تضع فيها المرأة أدوات الزينة والحلي، وحرفة السعف هذه لا تقتصر على الرجال لوحدهم أو النساء وإنما يقوم بها الاثنان معا. وقبل البدء في عملية الصنع كانوا أولا يقومون بنزعه وهو أخضر ثم يجفف حتى يصبح يابسا ثم يوضع في الماء لمدة قصيرة أو معينة. عندها يصبح السعف جاهزا للاستعمال وهنا تبدأ عملية الصنع و تسمى هذه الحرفة بالضفيرة[4]. وقد برع في هذه الحرفة أهل غمرة و بلدة عمر وقوق، وباستغلال المادة وانتشار الصناعة التقليدية بالإقليم لم يعد

[1] زوليخة جلابي، مقابلة شخصية، تقرت، 31-03-2012.
[2] ينظر للملحقان رقم(16)و(17) يوضحان الصناعة السعفية.
[3] الحاج أحمد بن السايح مجوجة، استجواب شخصي، من طرف السيدين محمد الطاهر عبد الجواد و مخلوف شاكو، تقرت، 1993/12/25 م.
[4] فطيمة عباس، مقابلة شخصية، 18-04-2012م

الأهالي في حاجة إلى المصنوعات المستوردة المماثلة من الخارج ولم يفتقروا إلا إلى القدور النحاسية[1].

***حرفة الحدادة:**

هذه الحرفة يتولاها رجال أشداء أي يمتلكون بنية قوية، متخصصون يعملون في مشاغل خاصة لهذا الغرض فيصنعون السكاكين والفؤوس والمناجل والمعاول وهي أغلبها من متطلبات ومستخدمات الفلاح بالإضافة إلى الكوانين وغيرها[2].

***صناعة الفخار:**

احتراف هذه الصناعة الرجال والنساء، وأغلب مصنوعاتها عبارة عن أواني منزلية لأن أكثر أواني البيت يكون من الطين[3] فصنعوا منه القلال (مزهريات) والجرار والقدور والكساكس والأباريق وقنائن "قنة" الماء وقد تكون هذه الأخيرة أيضا مصنوعة من السعف وهي لشرب الماء، والبخارات، وغيرها من أواني الطبخ وأدوات الزينة المنزلية، وبهذه الصناعات صارت المنطقة قبلة لكثير من الحرفيين الذين يشترون المصنوعات الفخارية بأثمان زهيدة ويعيدون زخرفتها ودهنها من جديد ثم يبيعونها باسم المنطقة التي سوقت إليها بأثمان عالية ومن أشهر من برعوا في صناعة الفخار عائلة بلّحمو وعائلة أبي ميلود المتواجدين بتقرت[4].

***صناعة الجلود:**

عرفت المنطقة بتربية المواشي من غنم وماعز وجمال إلى جانب الزراعة، ولهذا يربي الفلاحون هذه المواشي ليس فقط من أجل أكل لحمها وشرب لبنها وإنما كانوا كذلك إلى

[1] عبد الحميد إبراهيم قادري، تقرت البهجة...، ص 195.
[2] عبد الحميد إبراهيم قادري، التعريف بوادي ريغ، ص 42.
[3] عبد القادر نوحة، المرجع السابق، ص 43.
[4] عبد الحميد إبراهيم قادري، تقرت البهجة...، ص 192.

جانب الانتفاع من صوفها ووبرها كما شاهدنا في النسيج والغزل ينتفعون أيضا من جلودها فيصنع منها الإمتاع من حقائب وغيرها وأيضا النعال و القرب "القربة" التي يخزن فيها الماء ومنها ما يخزن فيها الحليب وتسمى الشكوة لاستخراج اللبن والزبدة، وأيضا المزود الذي يدخر فيه الدقيق والقمح وغيرها من المصنوعات الجلدية[1].

[1] عبد الحميد إبراهيم قادري، التعريف بوادي ريغ، ص ص 42-43.

3/التجارة:

إن سكان وادي ريغ لم يمارسوا التجارة كحرفة أساسية، ولم يعرفوا النشاط التجاري كما عرفه جيرانهم إنما عرفوا أكثر استهلاك السلع والمواد الغذائية المستوردة التي تأتي إلى أسواقهم العامرة من طرف التجار القادمين من كل فج[1]. فالموقع الاستراتيجي الذي تتمتع به المنطقة جعلها تشكل نقطة عبور هامة للتجارة، ونقطة تواصل بين البلاد الجزائرية وإفريقيا السوداء وذلك لوضعها الجغرافي ونشاطها الاقتصادي وظلت خلال الفترة العثمانية حلقة وصل وبوابة طبيعية بين بلاد المغرب الأوسط وأقاليم السودان الغربية ومعبرا حيويا تمر منه السلع وتتنقل عبره وفود التجارة وجمعات العبيد بين مختلف جهات الصحراء الكبرى[2] ومن بينهم تجار إفريقيا (السودان) الذين كانوا يجلبون العبيد حتى أصبح سوق تقرت مثل سوق ورقلة في تجارة الرقيق[3]، وعموما تعد الصحراء بصفة عامة عبارة عن سوق مكتظ بالقوافل المتجهة لكل الإتجهات المتنقلة بكل أنواع البضائع و السلع وهذا حسب رحلة العياشي من خلال ماشهده ووصفه حيث قال بأن الناس يتعاملون بالمثقال وقيمته أربع وعشرون موزونة، كما أن منتوجات الصحراء لا تنحصر في التمر وحده بل هناك منتوجات أخرى مثل الحناء والفواكه والخضر والبقول واللحوم و غيرها فينفقون من أجلها ما لديهم من الذهب وأحيانا ما يحملون من الكتب[4]. وكما رأينا أن الإقليم كان نقطة عبور للقوافل التجارية كذلك كان محطة أساسية لعبور الحجيج القادمين سواء من الجنوب أو من الغرب وحتى الرحالة[5].

أما إذا عدنا إلى تقرت والتي تعد بمثابة عاصمة للإقليم فهذه المدينة كانت عاصمة للثروة خلال العصور الحديثة وتعتبر من الأسواق ذات الأهمية في الجنوب الجزائري بعد

[1] عبد الحميد إبراهيم قادري، التعريف بوادي ريغ، ص 41.
[2] نصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص 542.
[3] عبد الحميد نجاح، مرجع سابق، ص 75.
[4] مولاي بالحميسي، المرجع السابق ، ص 29.
[5] عبد الحميد نجاح ، مرجع سابق ، ص 80.

ورجلان "ورقلة" ووادي سوف وفي هذا الصدد يقول الرحالة مرمول :"(...)سكانها نبلاء وأغنياء يملكون نخيل مثمر لكن المنطقة لا تنتج من القمح شيء فيجلب أهلها من قسنطينة الحبوب مقابل التمر"، وقد كانت التجارة في البادئ تتم بأسلوب التعامل بالمقايضة وهي على نوعان تجارة داخلية تتم بين الأهالي فيما بينهم بمنتجاتهم الفلاحية وتجارة خارجية تتم مع تونس والمغرب وليبيا والسودان[1]... الخ.

وقبل التطرق إلى الحديث على كل من التجارة الداخلية والخارجية يجب أن نشير إلى نقطة مهمة ألا وهي شبكة المواصلات و الطرق التي كان لها دور كبير وارتباط وثيق في تنشيط المجال الاقتصادي التجاري وغيره من المجالات الأخرى، التي كانت تضمن الانتقال للأشخاص والقوافل التي تقوم بتصريف المنتوجات وإيصال الحاجات المعايشة للسكان. وهذا الفضل يعود إلى الرحالة الأجانب أو المسلمين الذين قدموا لنا معلومات تعرفنا على خط سير هذه القوافل التجارية وغيرها، وما يهمنا منها طريق الجنوب الذي يربط بين أقاليم المغرب الأقصى الجنوبية وبين جهات الجنوب التونسي وإقليم طرابلس الغرب "ليبيا" ولهذا الطريق مسلكين أحدهما يعرف بطريق القصور يبدأ من واحات أو إقليم تافلالت "سجلماسة القديمة"[2] إلى واحات الزيبان ومنها إلى الجريد. والآخر يتوغل في أعماق الصحراء وهو الذي يهمنا لأن من أهم محطاته واحة وادي ريغ ويطلق عليه عادة طريق الواحات، وهذا الطريق يعبر مناطق العرق الشرقي وتادمايت وتاديكالت وتوات ودرعة وأهم محطاته سوف، تقرت، ورقلة، غرداية، عين صالح، تامنطيط "أدرار"..... تندوف. وهذا الطريق يعرف بشبكة المواصلات الأفقية الرابطة بين الشرق و الغرب كما أن هناك طريق آخر رأسي أو عمودي يربط بين الشمال والجنوب "التل و الصحراء" وهو طريق التجارة الداخلية[3]، وهو على ثلاث جهات شرقية ووسطى وغربية، وما يهمنا منه

[1] مختار حساني، المرجع السابق، ص 207.
[2] ناصر الدين سعيدوني ، مرجع سابق ص ص 446- 447.
[3] ينظر إلى الخريطة التي توضح الحركة التجارية بين الجنوب الجزائري و شماله الملحق رقم(18).

المحور الشرقي بين قسنطينة وبين بسكرة وأهم محطاته بئر البقرات، سقان، المشيرة، باتنة، القنطرة، الوطاية، بسكرة ومنها إلى تقرت وورقلة وسوف، وأخيرا هناك طريق صحراوي يصل بين إقليم التل والساحل والسوداني ومنه المسلك الشرقي الذي يربط التل القسنطيني وناحية الجريد وجهات طرابلس بالسودان الأوسط "إقليم كانو"، أهم محطاته ورقلة، تقرت، سوق، غدامس، غات، عين الزان، أغايس، كانو[1]. ومما سبق ذكره عن شبكة المواصلات والطرق نلاحظ أنها قد جعلت إقليم وادي ريغ و بالضبط منطقة تقرت طيلة الفترة العثمانية بصفة عامة وبالقرن19م خاصة محورا ومركزا رئيسيا لتجارة السودان ومحطة قارة لجموع الحجاج، وطريقا طبيعيا للتوغل في أعماق الصحراء وأيضا نحو مناطق التل الخصبة بالشمال[2]، ويقول العياشي بأن طريق الواحات والقصور يمتاز باستتباب الأمن وكثرة الأرباح التي يحصل عليها التجار بواسطته[3]، بحيث يصبح التاجر موسرا بعد أن يشارك في رحلة أو رحلتين عبر هذا الطريق[4]، ولا يزال هناك العديد من الطرق والمواصلات اكتشفها الأجانب خاصة تلك التي قامت بها البعثات الاستكشافية الفرنسية للتوغل في جنوب الجزائر والتوسع إلى أعماق الصحراء لما تتوفر عليه المنطقة من إمكانيات اقتصادية ومن مصادر المياه، ثروة التمور وغيرها وذلك من أجل استغلالها واستثمارها والاستفادة منها[5]. ولهذا لا يسعنا أن نذكرها جميعا وإنما ما يهمنا منها هو فقط الطرق التي كان يستخدمها التجار كمعبر لتسويق تجارتهم وخاصة تلك التي جعلت من إقليم وادي ريغ محطة ومستودعا وسوقا استهلاكية لمنتوجات الصحراء والتل والسودان[6]

---

[1] ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق، ص ص 450- 453.

[2] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص522.

[3] أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص ص46-48.

5 emerit(m) , les liaisons terrestres entre le soudan et l'afrique du nord au xvii et au début du xix siécles, travaux de l'institut de recherches sahariennes, alger, t.x.n°1, 1954, p39.

[5] يحي بوعزيز، **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1999م، ص ص 65 -73.

[6] نصر الدين سعيدوني ، مرجع سابق ص ص 53

إذ أن سوق تقرت يعتبر من اكبر وأشهر الأسواق بالمنطقة[1]، حيث كان عنده تلتقي كثير من القوافل المتوجهة إلى الجريد والسودان الإفريقي وغيرهما، وبما أن وادي ريغ ينتج التمور بكثرة ويصنع الأقمشة الصوفية والتقليدية الأخرى فإن التجار كانوا يصدرون بعضا من هذه المنتوجات و المصنوعات ويقايضونها (يستبدلونها) بما يحتاجه السكان من الأقمشة القطنية والعطريات والزيوت والبخور وغيرها من السلع[2]، وهذه التجارة كانت تتم على نمطين كما ذكرنا داخلية وخارجية. كما أنهما يقومان على وسيلتان مشهورتان للقيام بعملية نقل البضائع أولهما: هي القافلة التي تضم مجموعة متعددة من التجار الذين لا تربط بينهم سوى مصلحة الطريق. ثانيهما هي القبيلة التي تنتقل بكاملها ولذلك فهي أبطء من الأولى ولكنها أضمن بالنسبة للتجار.

3ـــ1التجارة الداخلية:

تتقيد كل القبائل بقانون سنوي نشأ وفق الظروف الطبيعية، إذ تنقل القوافل باتجاه الصحراء فيصلوا وقت جني التمور أي في حوالي منتصف أكتوبر فتستبدل بضائعها من الحبوب وقماش وصوف بالتمور وبعد الانتهاء من عملية المقايضة يتم تخزين التمور لتبتعد القبائل بعد ذلك عن المدن تقود قطعها نحو المراعي لتقضي فصل الشتاء والربيع بالصحراء لتوفر الماء والكلاء ومع نهاية الربيع تمر مرة أخرى بالمدن الصحراوية من جديد لتحميل جمالهم بالتمور ثم الاتجاه نحو الشمال في بالوقت الذي يقل فيه الكلاء في الصحراء، في حين يكون الشمال "التل" في وقت حصد القمح[3] فتقضي هذه القوافل فصل الصيف في حركة تجارية نشطة إذ تستبدل حمولات التمر والنسيج الصحراوي بالحبوب والصوف والكباش والزبدة ومع نهاية الصيف تستعد القافلة للرحيل من جديد باتجاه

[1] ينظر الملحق رقم(19) يبين سوق تقرت.

[2] عبد الحميد إبراهيم قادري، التعريف بوادي ريغ، ص 41

[3] يمينة حضري، **الحياة الاقتصادية بمنطقة وادي ريغ**، أعمال الملتقى التاريخي الثالث حول فترة حكم بني جلاب بمنطقة وادي ريغ أيام 23ـــ04/24 / 1998م، منشورات جمعية الوفاء للشهيد، تقرت، الجزائر، د.ت ، ص ص 82-83.

الصحراء. ومن أشهر هذه القبائل التي تقوم بعملية المقايضة بمنطقة وادي ريغ أكثرها كانت في أيدي أولاد نايل التي تتفرع إلى خمسة فروع منها أولاد مولات، الطيبات، أعراب غرداية، أولاد سايح، أولاد سعيد بن عمر إذ ينقلون على جمالهم الحملات المستوردة من الشمال ويأخذون أحمال التمور إلى التل، أما التجارة القادمة من الجنوب والذاهبة إليه فبأيدي السوافة و الشعابنة والسعيد عمر، أما تجارة الكتان والأقمشة فبأيدي بني ميزاب، وتجارة الذهب فبأيدي اليهود[1] كما كانت القبائل الصحراوية تتجه نحو الشرق القسنطيني لكون المنطقة تابعة لبايلك الشرق، في حين لا تتعدى هذه الأخيرة إقليم الجزائر "التيطري" خاصة عندما كانت تحت حماية السلطة التركية، ولكي يتحصلون على حقوق التبادل التجاري يقومون بدفع ضريبة ثابتة مسبقا[2] فمثلا أولاد مولاة كانو يدفعون ضريبة للأتراك تقدر بحسب حمولة الجمل تسمى الحيسة[3]، وبما أن المبادلات التجارية الصحراوية مع الجزائر العاصمة كانت غير معتبرة فكان تاجر واحد من يهود المدينة يقوم بالمبادلات كل الأعوام على حدود الصحراء بواسطة بغال تكون محملة بالحبوب ويستبدلها بريش النعام والجلود وأحيانا بالقليل من التبر[4].

إن تقرت وتماسين من أهم المراكز التجارية بالجنوب الشرقي إذ أن منطقة وادي ريغ تشكل نسيج اقتصادي و اجتماعي متطور ونشيط والدليل على ذلك إذ أنهم مع مرور الزمن استطاعوا أن يتجلوا عن طريقة المقايضة و يستعملوا النقود في معاملاتهم سواء العملة الجزائرية المعروفة حينها أو الريال التونسي المعرف بالطرباقة والدورو الاسباني

[1] عبد الحميد إبراهيم قادري، التعريف بوادي ريغ، ص 42

[2] emerit(m), les liaisons terrestres ..., op. cit., p36.

[3] يمينة حضري، المرجع السابق، ص83.

[4] emerit(m), les liaisons terrestres ..., op. cit, p37

بالإضافة إلى عملة محلية وصفها العياشي بقوله:" وأما دراهمهم فقراريط صغيرة اثنان وثلاثون منها في ربع رياله"[1].

كما أن حمولة جمل من التمر كانت تشترى من طرف تجار ورقلة أو تقرت بخمسة عشرة فرنك "15 فرنك" لتستبدل بأربع حمولات من الحبوب عند نقلها إلى التل، وعندما تعود هذه الحمولات إلى المنطقة تباع مرة أخرى إلى البدو بأربعة مائة فرنك "400 فرنك" وبذلك يحصل التاجر مقابل نقل البضاعة وإبدالها يربو على خمسة مائة وثمانية وثلاثين فرنك "538 فرنك"[2].

ومن المعروف أنه يوجد في منطقة الشرق نوعان من الأسواق هما المحلية والتي تعقدها مختلف القبائل في أيام معينة من الأسبوع يأتيها اقرب الناس، وأخرى جهوية أشهر سوق تقرت الذي كان يقام في ساحة أمام الجامع الكبير، كما أن هناك معرض سنوي للمنطقة يقام تحت رئاسة شيخ العرب، إذ تمتلئ هذه الأسواق بالمنتوجات والمصنوعات المحلية المختلفة وببعض المستوردات التي سيرد ذكرها في تناولنا للتجارة الخارجية وبالإضافة إلى هذا التعامل الداخلي عرفت منطقة وادي ريغ بحكم موقعها الاستراتيجي علاقات خارجية مع كل من تونس والمغرب وبلاد السودان وطرابلس والحجاز كما أشرنا سابقا وتحميها قبائل مختلفة أشهرها في جنوب قسنطينة، التوارق، الشعابنة[3].

3ـــ2التجارة الخارجية:

لقد كانت تونس هي أقرب الأسواق الخارجية إلى الشرق الجزائري ولذلك كان تجار قسنطينة من تلّيين وصحراويين يفضلون التوجه إليها ينقلون منتوجاتهم ويتزودون منها بما يحتاجه السكان من مختلف المواد الكمالية وللقيام بهذه العمليات التجارية التي تعتبر أهم

[1] يمينة حضري، المرجع السابق، ص83.
[2] نصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص 541.
[3] يمنة حضري، المرجع السابق، ص 84.

من النشاط الذي كان عن طريق المواني، فهناك مراكز أساسية تنطلق منها القوافل وتعود إليها أهمها قسنطينة، الوادي، تقرت، ورقلة[1]، وبما أن قسنطينة هي عاصمة الشرق الجزائري وأكبر مدنه فهي تعتبر اكبر أسواق المنطقة في ذلك الحين يؤمها التجار من جميع النواحي يجلبون إليها الكثير من منتوجاتهم الضرورية لتغذية سكانها وعلى هذا الأساس كانت قسنطينة توجه شهريا قافلة من حوالي ثلاثة مائة "300" بغل إلى مدينة تونس تحمل إليها الصوف والجلود المدبوغة والتمور المجلوبة من الواحات والشواشي وريش النعام وتستورد منها المصنوعات الأوربية والعطور وبعض المنتوجات المحلية والأجنبية مثل التوابل والقهوة والأقمشة الحريرية والقطنية و للقيام بهذه الرحلات كان تجار قسنطينة يستعينون بجماعة من المحترفين من اليهود لتخيير بعض السلع وتحديد أسعارها في البيع والشراء، وبما أن وادي ريغ ينتج التمور بكثرة ويصنع الأقمشة الصوفية العادية فإن تجار تقرت يحملون إلى الجنوب التونسي المضلات، الحبوب والزيوت ويجلبون منها كثيرا من الأقمشة القطنية والعطريات المستوردة من أوربا فيوزعونها على الأسواق المحلية بالإضافة إلى التبر والعبيد[2].

وأما عن العلاقة مع السودان فقد كان التجار يجلبون منه البخور الأسود والعاج والفلفل والفول السوداني مع كميات معتبرة من التبغ وأعداد وفيرة من عبيد السودان وقد كان لهؤلاء العبيد الذين كانت تقوم عليهم تجارة الرقيق والنخاسة أهمية كبيرة خاصة في الحياة الاقتصادية للمنطقة طيلة العهد العثماني بعد أن ارتفعت أسعار الرقيق الأسود بصفة خاصة نتيجة تزايد الطلب بالمناطق الشمالية للخدمة في المنازل خاصة بعد أن أصبح الجهاد البحري لا يوفر العدد الكافي من الرقيق الأبيض، كذلك ارتفع بسبب ازدياد تكاليف النقل بالصحراء[3] ، فكانت مدينة تقرت تستقبل كل سنة حوالي 500 فرد من الرقيق يقدر

[1] محمد العربي الزبيري، **التجارة الخارجية للشرق الجزائري**، د. ط، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، د.ت، ص152.
[2] محمد العربي الزبيري، المرجع نفسه، ص 156.
[3] ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص 532.

ثمن الواحد منهم في نفس المكان "أي في المنطقة ذاتها" من 150ف إلى 250ف، لكن عندما ينقل إلى التل "منطقة الشمال" يصل إلى أربعة مائة فرنك "400 ف" أو خمسة مائة فرنك "500 ف"، وقد يرتفع هذا الثمن إلى خمسة آلاف بوجو "5000بوجو" حوالي "3000 ف"[1] أي أصبح يعاد بيعهم بأضعاف أثمانهم. وذلك عند توفر المواصلات والشروط المطلوبة، ونظرا للنشاط التجاري الذي تتمتع به المنطقة والمتمثل في جلب العبيد واقتناء السلع والبضائع والمبادلة بها هذا ما لفت انتباه حكام الإيالة الجزائرية لكونه إحدى الوسائل التي مكنتهم من ممارسة نفوذهم وتأكيد سلطتهم لدى سكان المنطقة، والدليل على ذلك عندما لم يرضى باي قسنطينة صالح باي بمقدار الغرامة المترتبة على حاكم وادي ريغ مما جعله يفرض حصار على المنطقة بل أدى به الأمر إلى ضرب أسوارها وقطع نخيلها فلم يجد حاكمها حلا إلا بقبول الصلح وشروط صالح باي الثقيلة، فقدرت الغرامة التي فرضها عليه بثلاثة مائة ألف ريال "300.000 ريال" يضاف إليها مجموعة من الخيل والعبيد وذلك مقابل الحصول على عهد الأمان ونيل رسم التولية على إقليم وادي ريغ[2].

بينما العلاقة التجارية مع ليبيا فإنها كانت محدودة ذلك أن أهم سوق لليبيا تقصده القوافل الجزائرية القادمة من تقرت والوادي وورقلة يوجد في مدينة غاط التي ينعقد سوقها مرة في السنة وكان تجار الجنوب الشرقي الجزائري يحملون إلى هذه السوق منتوجاتهم المحلية وبعض المواد العطرية والجواهر والحرير والتوابل وغيرها من المنتوجات الأوربية المستوردة، لتستبدل بالحمير المصرية والعبيد والتبر وسائر المنتوجات الإفريقية، والملاحظ أنّه بالإمكان أن تتطور هذه العلاقة التجارية لو وجدت

[1] عبد القادر زبادية، **الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا** ....، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص 39.

[2] ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص ص 291- 292.

نوع من التنظيم من طرف الإدارة العثمانية[1]. أما التجارة مع بلاد المغرب والحجاز فإنها تكتسي فترة زمنية إذ تتكون القوافل من المسلمين الذين يقومون بعملية الحج. إن هؤلاء الحجاج أو القوافل القادمة من المغرب هم نفسهم تجار لأنهم يقومون بعملية التجارة في طريقهم إلى الحج "ذهابهم وإيابهم"[2] فيحملون معهم المصنوعات المغربية من نحاس وأكياس الجلود ذات اللون القرمزي ماعدا التمر الهندي الذي يشتري من السودان ويعاد بيعه بالمغرب ليشتروا من تونس وتقرت منتوجاتهم لبيعها بالحجاز وفي نفس الوقت قد تكون كزاد لهم، وبعد ذلك تشق القوافل إيالة طرابلس ثم ولاية مصر لتصل إلى الحجاز قبل مواعيد الحج بأيام قليلة، وفي كل مدينة أو قرية يمر بها الركب، كان الحجاج يتاجرون مع السكان كما أن القافلة نفسها كانت تشكل سوقا متنقلة بالنسبة لجميع أفرادها، ومع نهاية الحج يجلب الحجاج معهم البضائع المتواجدة بالحجاز كالمنتوجات الهندية من أقمشة حريرية وشيشان والمسك والزبد[3] ولا تقف أهمية وادي ريغ في هذه العلاقات التجارية إذ تتعداها إلى نعمة تجارة الذهب، وقد فتحت هذه الأخيرة باب آخر هو تجارة الملح بعدما كان يجلب من مناطق مختلفة[4].

وبالرغم من هذا النشاط التجاري الذي كان كانت تتمتع به المنطقة إلا أنه شهد انكماشا اقتصاديا وتقهقرا عمرانيا يعود إلى عدة أسباب من بينها التنافس الحاد بين الأسر الحاكمة فنجد أسرة بني جلاب التي كانت في أول عهدها تحكم مناطق شاسعة من وادي ريغ ثم أصبح حكمها نتيجة هذا التنافس لا يتعدى مدينتي تقرت وتماسين، زد على ذلك أن هذا الصراع لم يقتصر على أفراد الأسر الحاكمة بل تعدها إلى المراكز العمرانية بالمنطقة فأصبحت العداوة والنزاعات مستحكمة بين تقرت وتماسين[5] وكان سبب حدة التنافس بين

[1] يمنة حضري، المرجع السابق، ص 87
[2] يمينة حضري، المرجع نفسه، ص ص85ـ86.
[3] محمد العربي الزبيري ، المرجع السابق، ص ص 184- 185
[4] يمنة حاضري ، المرجع السابق ص 86
[5] daumas (le lieutenant), sahara algérien, paris, fortin masson, p.p 89_135.

الأسر وبين الحكام في المنطقة نتيجة تشجيع حكام الإيالة له وتحريضهم عليه لأنهم وجدوا في الإبقاء على هذه العداوة بينهم خير وسيلة لفرض نفوذهم وإقرار سلطتهم على المنطقة. كذلك كثرة الضرائب وتزايد المطالب المالية التي أثقلت كاهل السكان جعلتهم يعيشون في حالة فقر وعوز بعد أن كانوا بأيسر أحوالهم وكثرة ثروتهم[1]. على الرغم من هذه الأسباب والعوامل التي أثرت على حياة المنطقة الاقتصادية والاجتماعية في أواخر الفترة العثمانية ومرورا بالاستعمار الفرنسي فإن الحياة الاقتصادية قد ضلت يغلب عليها الطابع التجاري وذلك بسبب الموقع الذي تكتسبه المنطقة كنقطة تواصل بين تجار القوافل المارة بها[2]. إلا أن هذا لا ينفي بعض المهن أو الحرف الصناعية والأعمال الفلاحية التي تشكل نشاطا اقتصاديا لسد احتياجات الأهالي بما يتلاءم مع المنطقة الصحراوية[3].

[1] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص ص536ـ537.
[2] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 541.
[3] يمنية حضري، المرجع السابق، ص 87.

خاتمة:

من خلال هذه الدراسة للحياة الاجتماعية والاقتصادية بمنطقة وادي ريغ، نخلص إلى القول بأن هذا الإقليم الذي يحتوي شريطه على مجموعة من الواحات كان بفضل موقعه الإستراتيجي وبعض العوامل الأخرى من عوامل السطح كالتضاريس والتربة وأخرى طبيعية من مناخ ومياه وكذا الغطاء النباتي منطقة جذب لمختلف الأجناس التي جعلت منه منطقة عمرانية تقف عنده الركب والقوافل التجارية حتى أصبح همزة وصل و نقطة عبور للربط بين الربوع الصحراوية الأخرى وغيرها، وهو ما نشط كثيرا الحياة الاقتصادية بها. ويمكن تلخيص النتائج الأخرى كالآتي:

الاجتماعية:

*رغم صعوبة المناخ إلا أن واحات وادي ريغ أعطت فرصة لاستقرار بعض الأجناس وذلك لتوفره على المياه الجوفية والتربة الصالحة لتنوع المنتوج، لأن حياة البشر مرهونة بتوفر الماء والكلأ، بغض النظر عن سبب قدوم هؤلاء السكان سواء من بطش حكام أو بحث عن استقرار.

*إن توافد القبائل المختلفة على هذا الإقليم جعلت منه مداشر ومدن أو واحات متداخلة تبعد عن بعضها البعض بضع الكيلومترات لكن يجمع بينها العرف ووحدتها عادات وتقاليد اجتماعية متشابهة إن لم نقل واحدة.

*أنتج السكان وفقا للظروف الطبيعية طابعا عمرانيا مميزا لهذا الإقليم من حيث بناء القصور والبيوت وكشفت لنا الدراسة بعض الأسرار في استخدام القبب و الشوارع أو الأزقة المسقوفة (السقايف) والحكمة من استخدامها.

*إن التركيبة البشرية لوادي ريغ تتشكل من عنصر الرواغة وهم رجال الحشان هذه التسمية في الأصل ليست تعبر عن عرق أو جنس وإنما نسبة إلى مهنة غراسة الحشانة فسائل النخيل التي تميز بها رجال المنطقة ولهذا أطلق عليهم اسم رجال الحشان وفيما بعد

انحصر هذا الاسم لتمييز السكان الأصليين للمنطقة عن القبائل الأخرى الوافدة من العرب وغيرهم ، لأنهم كانوا يشكلون أغلب سكان الإقليم.

*عرف النظام الاجتماعي للإقليم الطبقية التي أدت إلى ظهور الفوارق الاجتماعية مثل الطبقة الحاكمة، الأشراف، الأغنياء، العمال التي تنحصر في الفقراء الذين لا دور لهم في الحياة سوى العمل والتنفيذ.

الثقافية والحضارية:

*إن الصفات التي يتحلى بها سكان وادي ريغ من كرم وضيافة وترحيب خاصة لأصحاب العلم جعلتهم يقدسون رجال الدين الذين يحتلون مكانة ودرجة من التقدير والاحترام عندهم حتى أصبحوا يجعلون لهم أضرحة للتبرك بهم وهذه من إحدى العادات الفاسدة لمجتمع وادي ريغ.

*تمسكهم بالعلماء والشيوخ جعل المنطقة تشهد ازدهارا علميا وثقافيا كبيرا بفضل أولئك الرجال الذين ساهموا وعكفوا حياتهم على نشر تعاليم الدين والعلم مثل سيدي محمد بن يحي الإدريسي ومن سبقه من الإباضيين في المنطقة التي عرفت أثناءها ازدهارا وتطورا علميا واسعا.

*انتشار الطرق الصوفية والزوايا في المنطقة مثل التجانية التي كان لها دور فعال حيث جعلت المنطقة تزخر بالعلماء من عدة بقاع كتونس والمغرب الأقصى، ومن جهة أخرى جانبها العلمي في المحافظة على تعاليم الدين ونشره والأعمال الخيرية الأخرى كملجأ لعابري السبيل وغيرها.

*لم يخصص الإقليم دارا خاصة بالقضاء بل كان يقوم به مجلس يسمى برجال لملاح أو يقوم به أيضا بعض الشيوخ في المساجد، لكن بعد أن انتشرت الزوايا وخاصة الزاويا التجانية جعلت له جناح خاص لأن من أعملها الاجتماعية القضاء لحل النزاعات بين الأهالي.

*بالرغم من الازدهار العلمي الذي شهدته المنطقة إلا أن فترة الاستعمار الفرنسي شهدت انحطاطا بسبب محاولة الاستعمار من بث الخرافات والبدع لغرض تجهيل السكان مثل حضرة لالة مليحة وسيدي عمار، لكن رغم ذلك كان هناك بعض المصلحين الذين حاولوا محاربتها عن طريق دروس الوعظ والإرشاد.

*عرفت المنطقة بكثرة المساجد إذ لا تخلوا قرية أو حي من مسجد ، حتى أنهم أصبحوا يجعلون لكل ولي صالح مسجد باسمه أي مساجدهم بأسماء العلماء والشيوخ، لكن الجانب السلبي في هذا الأمر أنهم ربطوا هاته المساجد بأضرحة لهؤلاء الأولياء الصالحين.

الاقتصادية:

*تعد المنطقة محطة للقوافل التجارية، مما جعلها سوقا كبيرا مثل أسواق ورقلة وسوف، حيث كانت تتم فيها جميع المبادلات التجارية.

*عرفت المنطقة بإنتاج التمور، ويحتل هذا المنتوج المرتبة الأولى في الإنتاج الاقتصادي للمنطقة لأنه يعتمد عليه بالدرجة الأولى، بالإضافة إلى بعض المنتوجات الأخرى التي تأتي فيما بعد وكانت أجود هذه التمور هي الدقلة نور.

*عرف أيضا الإقليم بعض الصناعات والحرف التقليدية المحلية التي كان الأهالي يعتمدون عليها في سد حاجيات الحياة، وأصبحت فيما بعد تصدر حتى إلى الخارج لكن بكميات قليلة.

*كان الإقليم يعتمد في عملية البيع والشراء على نظام المقايضة لكن فيما بعد عرف النظام النقدي.

*إن الخيارات التي كانت تزخر بها المنطقة جعلتها مصدر أطماع مثل بايلك الشرق الذي كان يفرض عليها ضرائب باهضة في العهد العثماني وكذا الاستعمار الفرنسي الذي كان يطمح في استغلالها أحسن استغلال عندما قام ببعض الإصلاحات مثل إنشاء آبار حديثة بوسائل حديثة بدلا من الآبار التقليدية.

وخلاصة القول هذا ما استطعنا تقديمه حول هذه الدراسة للحياة الاجتماعية والاقتصادية التي عرضناها في شكل بحث متواضع لعل بعض الأذهان كانت عنه شاردة أو به غير مبالية أو لا تدري عنه شيئا أبدا، ويقول عزّ من قائل:" كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام". سورة الرحمان، الآية(27/26)، لأن الزمان يزول، الرجال، العلماء والأبطال يزولون، القصور والمنازل والجبال تزول، لكن نرجو أن يكون ما قدمناه ولو بجزء يسير قد عرفنا به جزء مهم من أجزاء وطننا وتاريخه بالدرجة الأولى، لأنه في الأخير ما هو إلا امتداد لمن سبقنا به وما لم نصل إليه هو نقطة لانطلاق أبحاث أخرى قادمة، كما نلتمس من القارئ الكريم أن يعفوا لنا عن الأخطاء والهفوات التي وقعنا فيها من غير قصد وبدون تعمد .

ملحق رقم(01): خريطة توضّح خط سير رحلة العياشي.

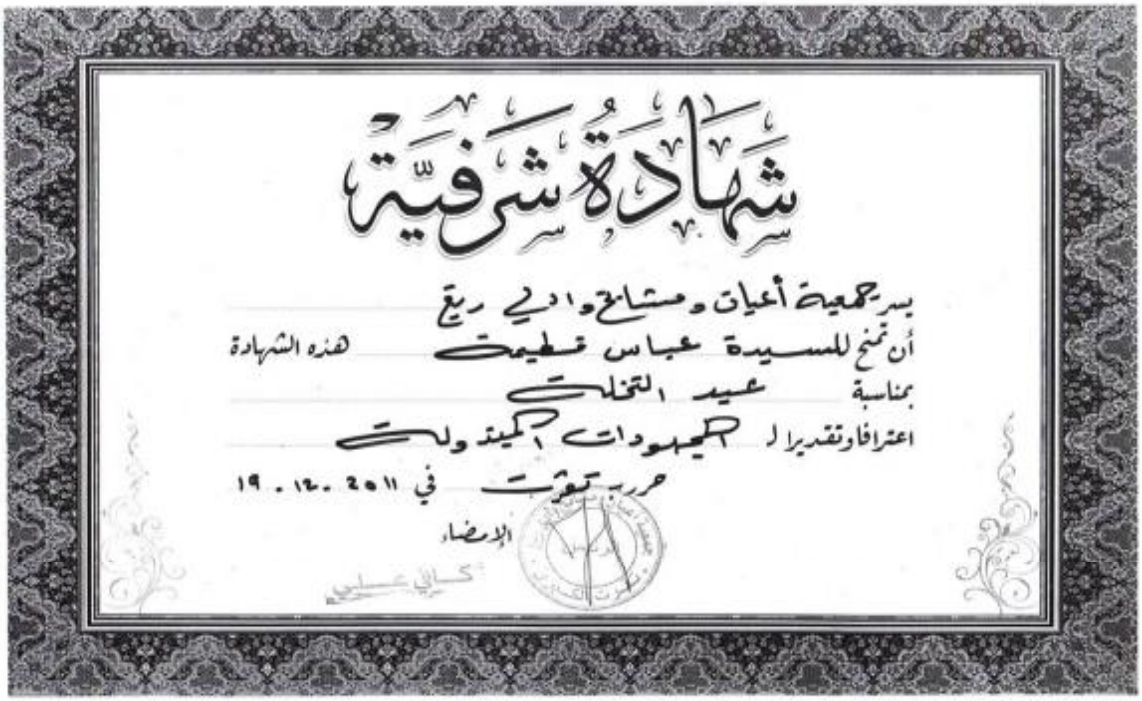
شهادة شرفية

يسر جمعية أحياء ومشاتي وادي ريغ
أن تمنح للسيدة عباس فطيمة هذه الشهادة
بمناسبة عيد النخلة
اعترافا وتقديرا لـ المجهودات المبذولة
حررت تقرت في ١٩ . ١٢ . ٢٠١١
الإمضاء

شهادة شرفية

ملحق رقم(02): شهادات منحت لفطيمة عباس تقديرا لمجهوداتها في الصناعة السعفية.

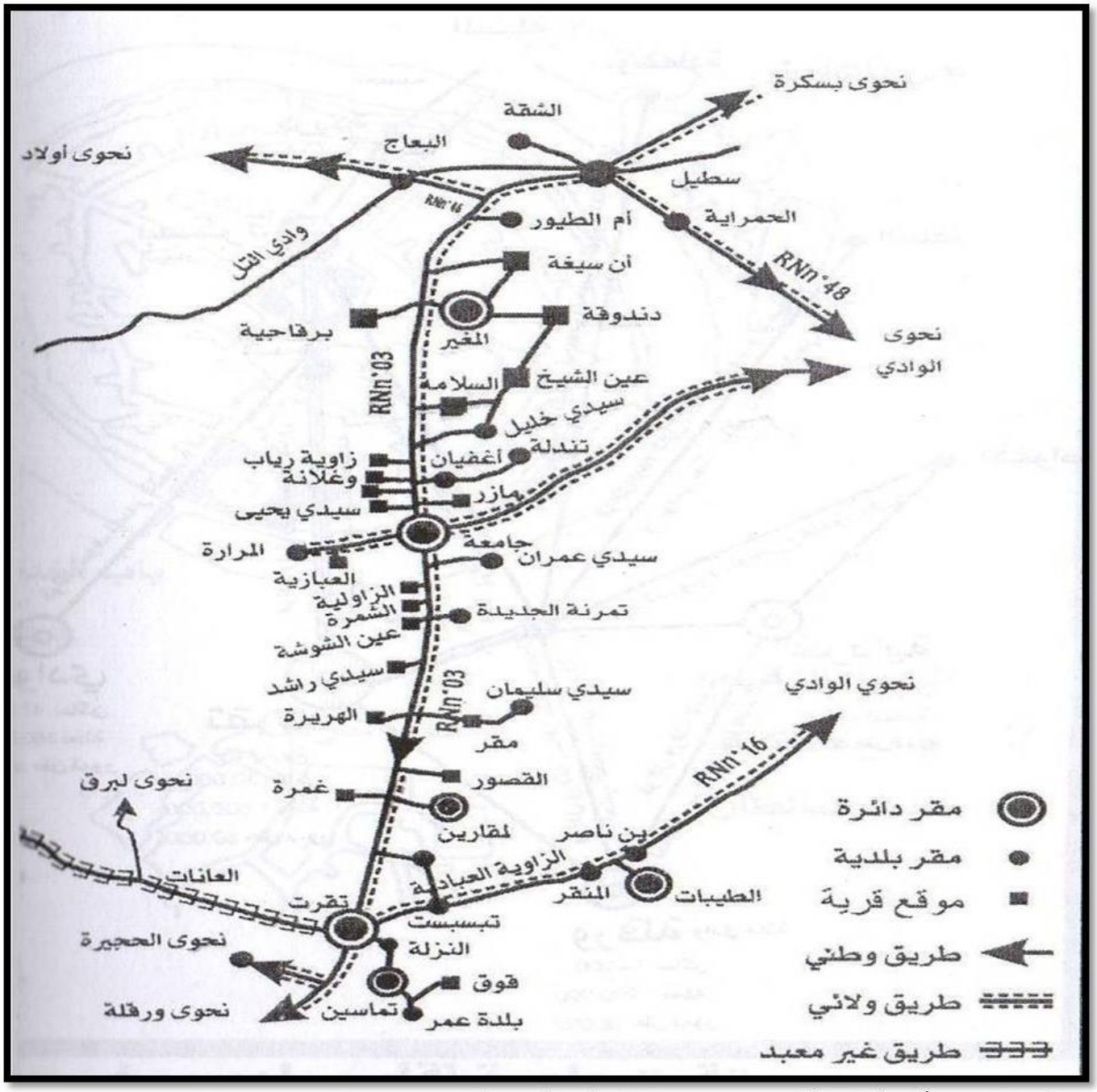

ملحق رقم(03): رسم تخطيطي لمدن وادي ريغ و ضواحيه.

الوثيقة بالخط الأصلي

الوثيقة بالخط العادي

نفعنا الله ببركاته آمين سيدي أمحمد بن يحي السلطان النفس الشريف نفنا الله به ، وهاهو نسبه من أبيه وأجداده ،سيدي أمحمد بن يحي بن أحمد بن بن يحي ،بن بلقاسم ،بن بن يحي بن محمد بن علي بن منصور بن يحي بن فارس بن كامل بن يحي بن عبد الرحمان بن عبد القادر بن سعيد بن مالك بن إدريس بن أبي إدريس بن جعفر بن الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

أعلم أيها القارئ تجديدها ونقلها من الشجرة الأولى يوم 20جانفي سنة 1900بإذن السيد بن يحي عمار بن محمود بن محمد بن الحاج رحمة الله عليه ونفعنا بهم وكل من مذكور منهم في الشجرة ومن لم يذكر من أهل الصلاح وأهل الخير بجاه محمد نبينا ساكن المدينة صلى الله عليه وسلم.

ملحق رقم(04): شجرة نسب سلطان وادي ريغ سيدي محمد بن يحي الإدريسي.

ملحق رقم(05): صورة لضريح سيدي عبد السلام بالمسجد المسمى باسمه بتقرت.

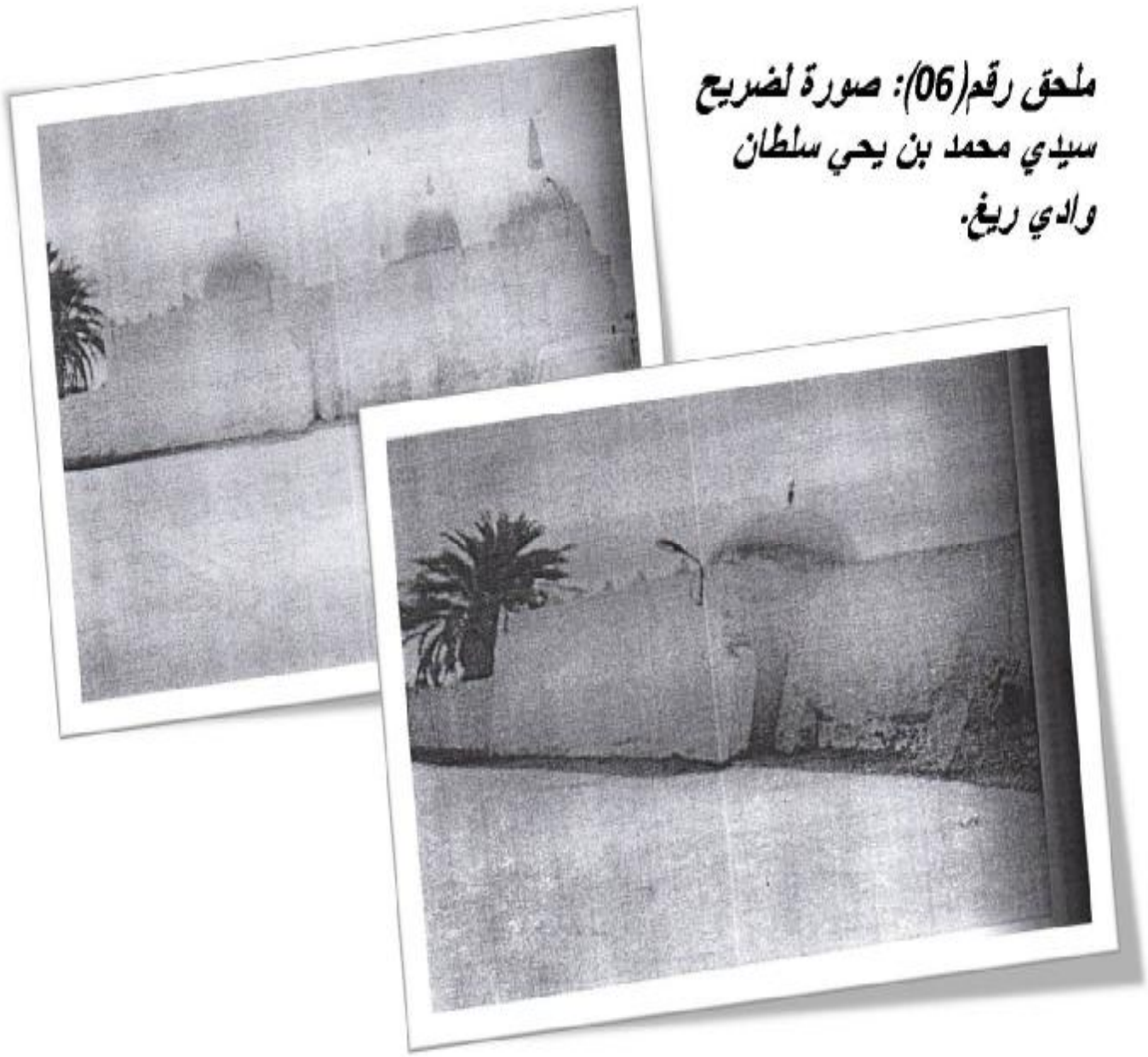

ملحق رقم(06): صورة لضريح سيدي محمد بن يحي سلطان وادي ريغ.

ملحق رقم(07): يبيّن الأكلات الشعبية للإقليم.

ملحق رقم(08): لباس تقليدي العريس في بلدة عمر.

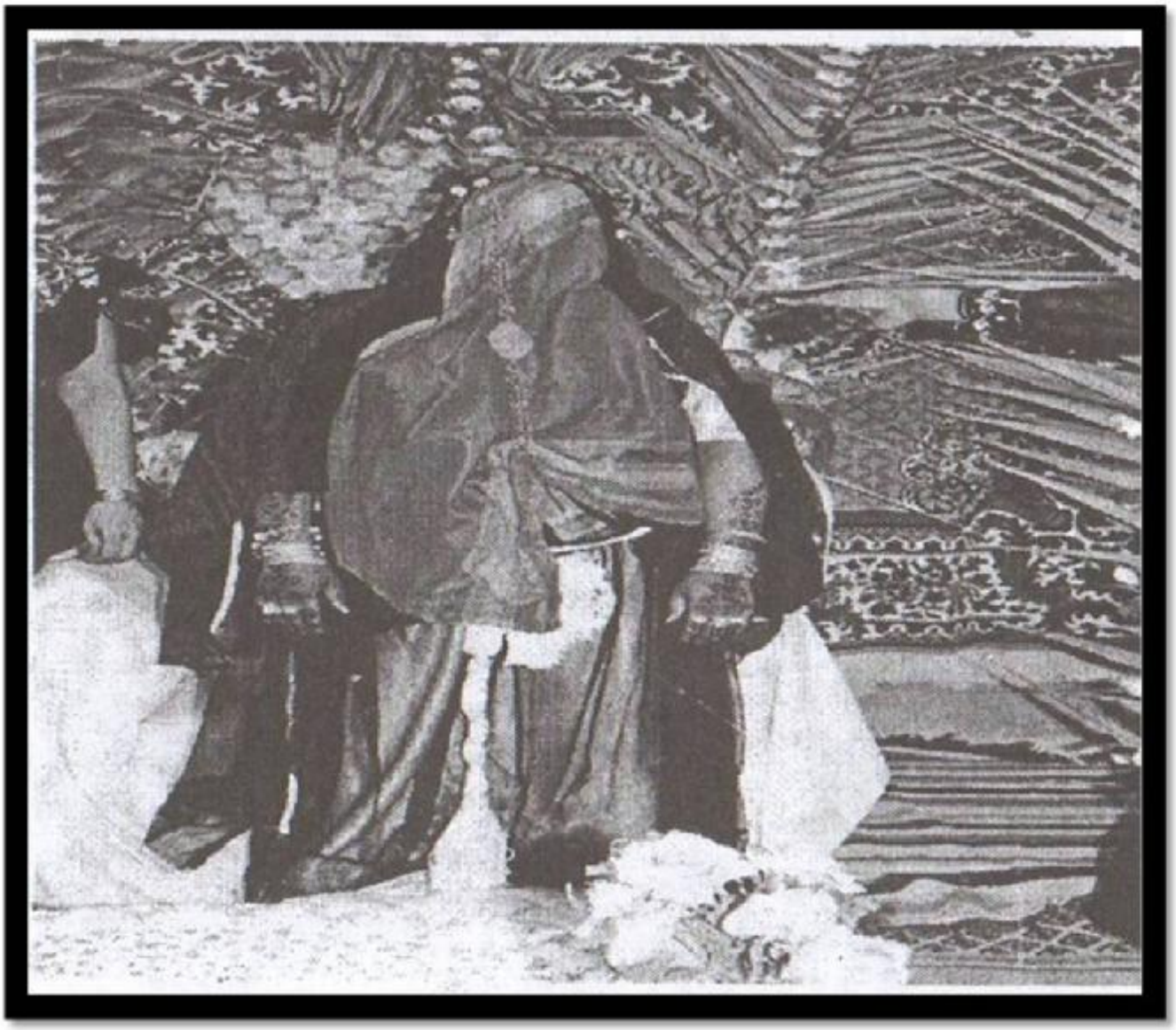

ملحق رقم(09): لباس تقليدي العروسة في بلدة عمر.

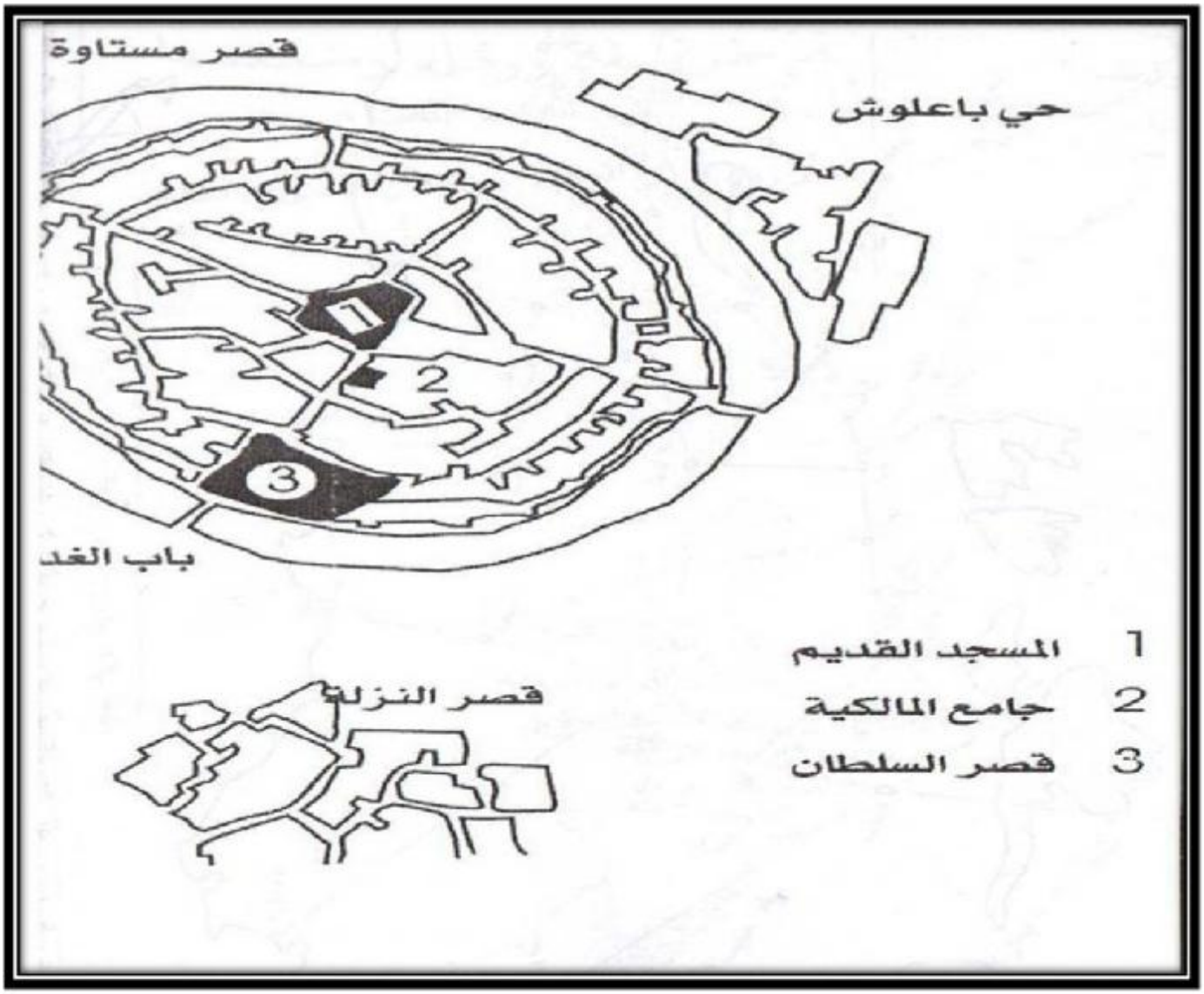

ملحق رقم(10): رسم تخطيطي يوضح مدينة تقرت عاصمة وادي ريغ.

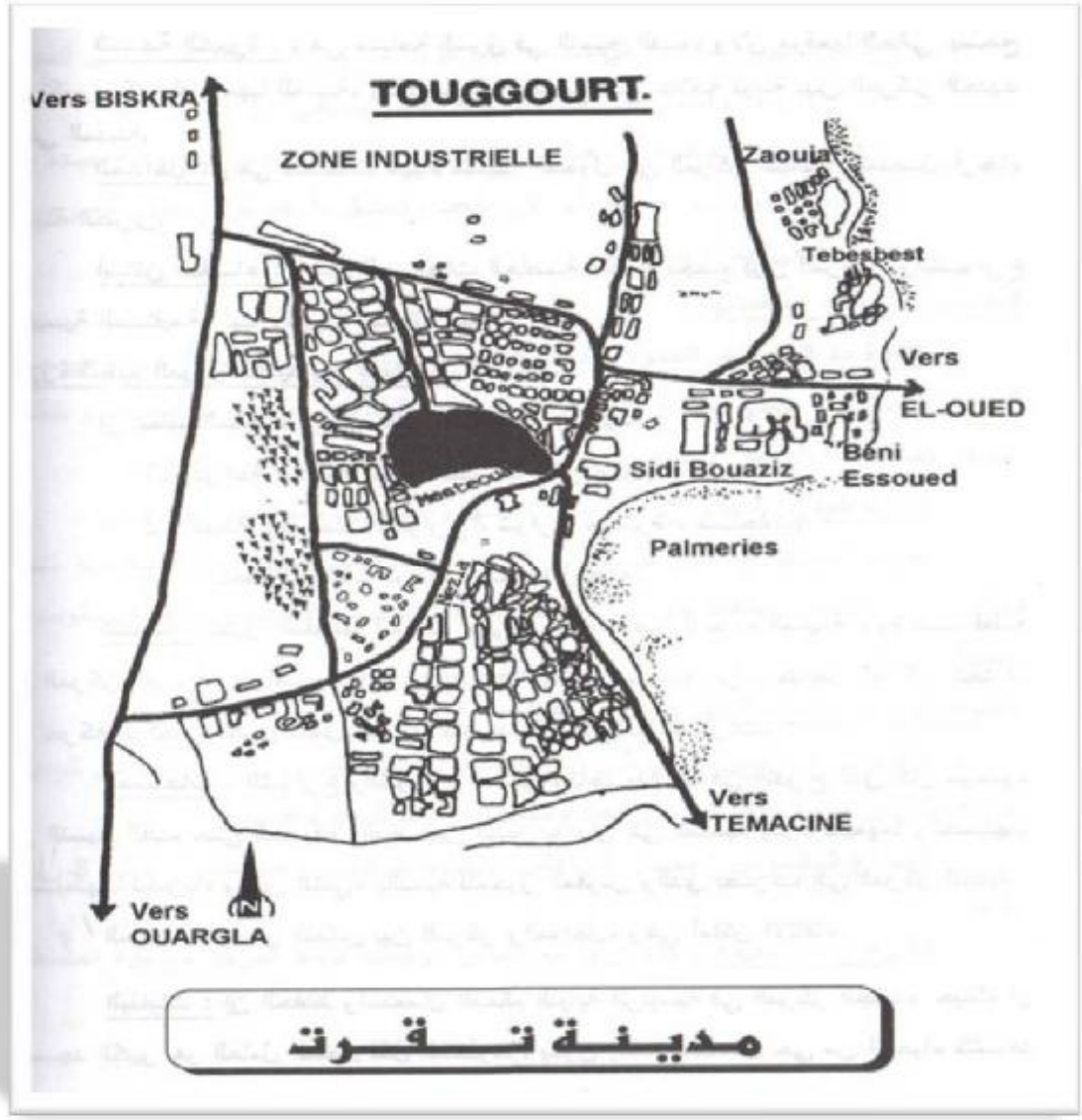

الملحق رقم (11)

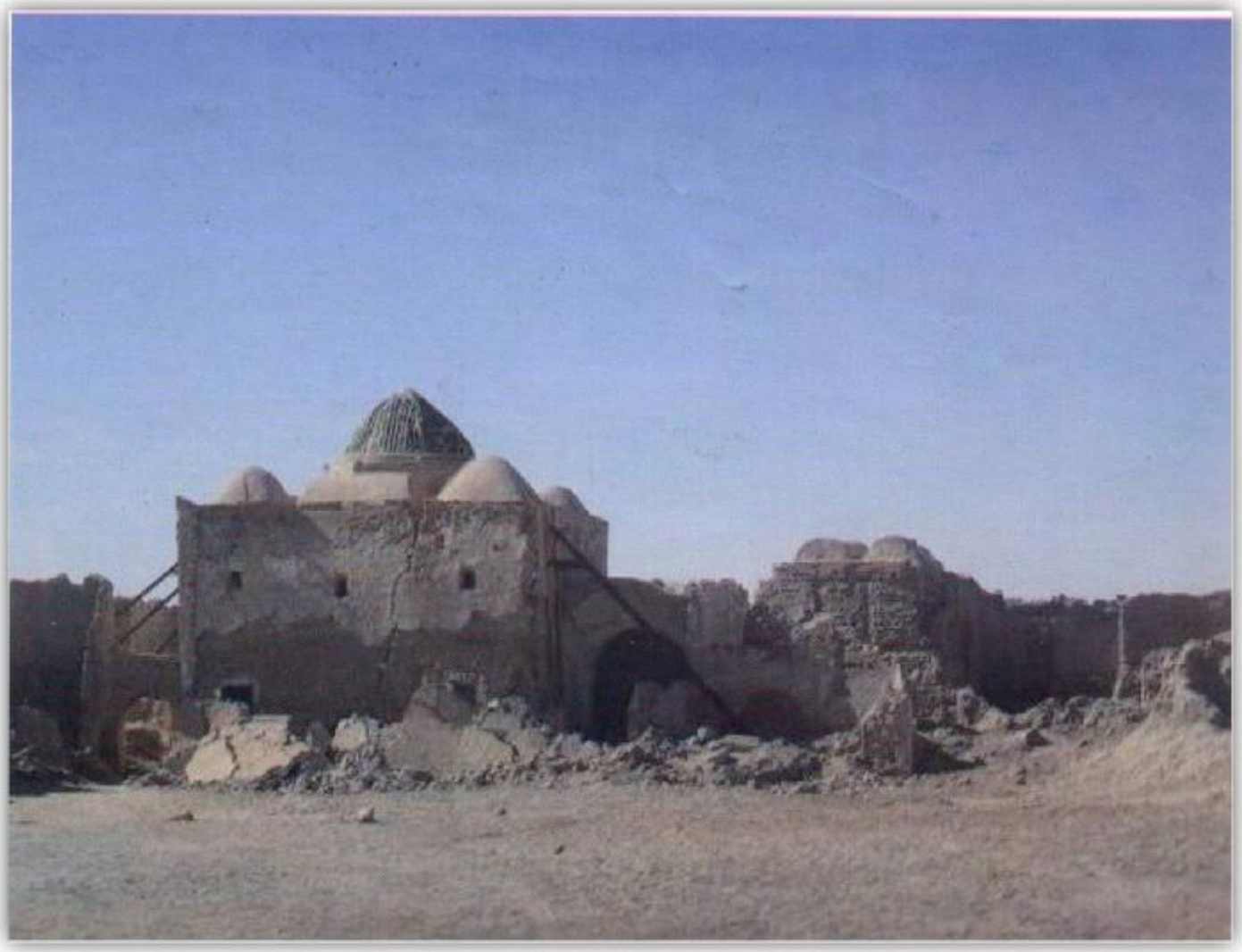

ملحق رقم(12): صورة لقصر تماسين القديم.

ملحق رقم(13): نوع من أنواع تمور المنطقة يسمى المنقر فيما بعد يصبح غرس.

ملحق رقم(14): أداة تسمى القرداش تجعل الصوف مثل القطن ليصبح جاهز للغزل.

ملحق رقم(15): مغزل تقليدي يجعل الصوف خيوط قابلة للنسيج.

ملحق رقم(16): قفة سعفية تقليدية

ملحق رقم(17): يبيّن الحرف التقليدية للصناعة السعفية.

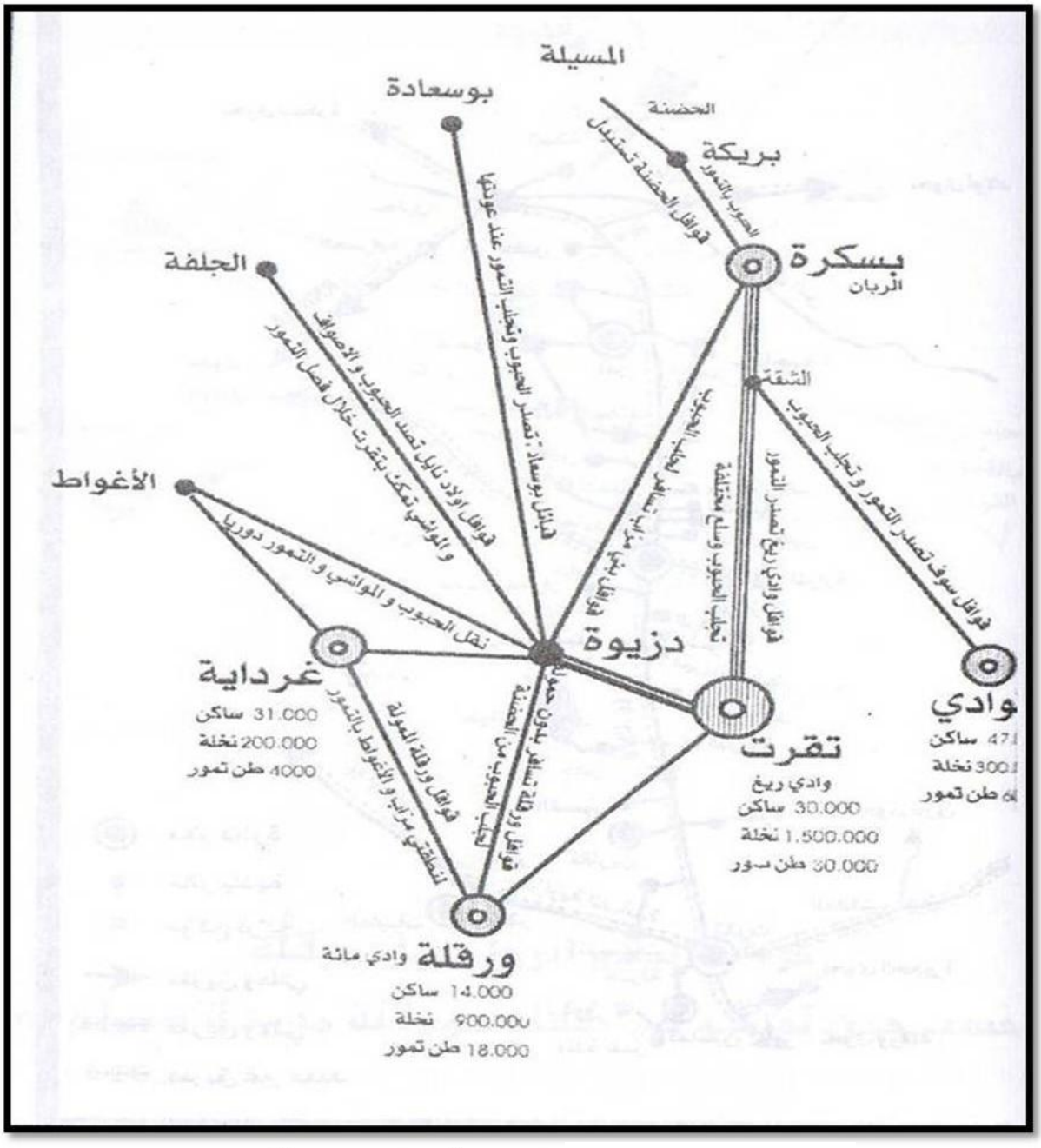

ملحق رقم(18): مخطط يوضح الحركة التجارية بين الجنوب الجزائري و شماله.

ملحق رقم(19): يبيّن سوق تقرت.

1/المصادر:

أ/العربية:

1-ابن خلدون عبد الرحمان، تاريخ ابن خلدون، مج 7، د.ط، دار الكتاب اللبناني، د.ت.
2-بن دومة محمد الطاهر، مذكرة أخبار تاريخية لواحة تقرت وبعض ضواحيها، تقديم وتحقيق:عبد الجواد محمد الطاهر وبوبكر محمد السعيد، د.ط، المطبعة العصرية للواحات، تقرت،1415ه/1995م.
3-الأغواطي الحاج ابن الدين، رحلة الأغواطي في شمالي إفريقية والسودان والدرعية، ترجمة:أبو القاسم سعد الله، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م.
4–الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق:إبراهيم طلاي، ج2 ، د.ط، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، د.ت.

5–العدواني عمر محمد بن محمد، تاريخ العدواني، تقديم وتعليق: أبو القاسم سعد الله، د.ط، دار البصائر، الجزائر، 2007م.

6-العياشي أبو سالم عبد الله بن محمد، ماء الموائد، تحقيق وتقديم: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، مج1، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة، 2006م. 7-الوزان الحسن بن محمد الفاسي، وصف إفريقيا، ترجمة: حجي محمد والأخضر محمد، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1983م.

ب/المعربة:

1-غيرستر جورج، الصحراء الكبرى، ترجمة: حماد خيري، ط1، منشورات المكتب التجاري، بيروت، لبنان،1961م.

2–هاينريش فون مالتسان، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، ترجمة: دودو أبو العيد، ج3، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م.

ج/الأجنبية:

1/Daumas , Le Sahara Algérien, études géographique , Statistique et historiques du sud, :Fortin-Masson, paris, 1845.

2/Emerit Marcel, Les liaisons terrestres entre le Soudan et l'Afrique du nord au XVIII et au début du XIX siècle, Alger. T.X.I.N°1 , 1954.

3 /Feraud Cherls, Notes historique sur la province de Constantine les ben djellab sultan de Touggourt, R..A ,N°23 , 1879.

2/المراجع:

1– الزبيري محمد العربي، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، د.ط، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، د.ت.

2- العربي إسماعيل، الصحراء الكبرى وشواطئها، د.ط،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م.

3– العوامر إبراهيم بن محمد الساسي، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تعليق: العوامر الجيلالي بن إبراهيم، د.ط، الدار التونسية للنشر، تونس، 1397ه/1977م.

4–المدني أحمد توفيق، كتاب الجزائر، د.ط، دار البصائر، الجزائر، 2009م.

5-بلحميسي مولاي، الجزائر من خلال رحلات المقاربة للعهد العثماني، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م.

6– الحاج سعيد يوسف بن بكير، تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية ، ط2، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1427ه/2006م.

7–حساني مختار، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، ج2، د.ط ،دار الحكمة، الجزائر، 2007م.

8- زبادية عبد القادر، الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء(دراسات ونصوص)، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م.

9- سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د.ت.

10- شافو رضوان، بحوث ودراسات في تاريخ وادي ريغ ،ط1،دار قانة، باتنة،الجزائر،2008م.

11- شهبي عبد العزيز، الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر،د.ط، دار الغرب لنشر والتوزيع، وهران، الجزائر،2007م.

12- عبد الجواد محمد الطاهر، بحث تاريخي حول أحياء بلدية تبسبست دائرة تقرت ولاية ورقلة 1986م،د.ط، د.ن، تقرت، الجزائر، د.ت.

13-عبد الجواد محمد الطاهر، مقتطفات من حياة بعض مشائخ العلم ومعلمي القرآن الكريم، بلدية تبسبست دائرة تقرت ولاية ورقلة، 1986م،د.ط، د.ن، تقرت، الجزائر، د.ت.

14- فيلالي مختار الطاهر، نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني، ط1، دار الفن القرافيكي للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر، د.ت.

15- قادري عبد الحميد إبراهيم، تقرت البهجة قراءة تاريخية واجتماعية، د.ط، مطبعة الإسكندر، قسنطينة، الجزائر، 2011م.

16- قادري عبد الحميد إبراهيم، التعريف بوادي ريغ ،د.ط، منشورات جمعية الوفاء للشهيد، تقرت، الجزائر ،د.ت.

17- قادري عبد الحميد إبراهيم، التركيبة البشرية لسكان وادي ريغ أيام بني جلاب، أعمال الملتقى التاريخي الثالث حول فترة حكم بني جلاب بمنطقة وادي ريغ، أيام 23-24 أفريل 1998م، منشورات جمعية الوفاء للشهيد، تقرت، الجزائر، د.ت.

18- موهوبي عبد القادر السائحي الإدريسي الحسني، ومضات تاريخية واجتماعية لمدن وادي ريغ وميزاب وورقلة والطيبات والحجيرة والعليا، د.ط، دار البصائر، الجزائر، 2011م.

19- موهوبي عبد القادر السائحي الإدريسي الحسني، آل البيت في الجزائر والعالم العربي الإسلامي (تحفة الأولاد في سند الأجداد)، د.ط، مطبعة بن سالم، الأغواط، الجزائر، 2009م.

20- نجاح عبد الحميد، منطقة ورقلة وتقرت وضواحيها من مقاومة الاحتلال إلى الاستقلال، د.ط، الآمال للطباعة، منشورات جمعية الوفاء للشهيد، تقرت، ورقلة، الجزائر، 2003م.

21- نوحة عبد القادر، ستارة بين أمجاد الماضي وحواضر اليوم تاريخ وحضارة 2006م، ط1، مطبعة مزوار الوادي، الجزائر، 2011م.

3/المقالات:

1– حضري يمينة، الحياة الاقتصادية بمنطقة وادي ريغ، أعمال الملتقى التاريخي الثالث حول فترة حكم بني جلاب بمنطقة وادي ريغ، أيام 23-24 أفريل 1998م، د.ط، منشورات جمعية الوفاء للشهيد، تقرت، الجزائر، د.ت.

2- شافو رضوان، الحياة الاجتماعية في وادي ريغ من خلال مخطوط ري الغليل في معرفة أخبار بني عبد الجليل خلال القرن 19م، أعمال الملتقى الوفي حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 12-13ه/18-19م، من خلال المصادر المحلية، أيام 24-25 جانفي 2012م، د.ط، د.ن، المركز الجامعي بالوادي، الجزائر، د.ت.

3- عبد الجواد محمد الطاهر، عاصمة وادي ريغ تقرت أيام بني جلاب، أعمال الملتقى التاريخي الثالث حول فترة حكم بني جلاب بمنطقة وادي ريغ، أيام 23-24 أفريل 1998م، منشورات الوفاء للشهيد، تقرت، الجزائر ،د.ت.

4- عقبة السعيد، الزاوية التجانية ودورها الاجتماعي بالمنطقة خلال القرن 19م، أعمال الملتقى الوطني حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 12-13هـ/18-19م من خلال المصادر المحلية، أيام 24-25 جانفي 2012م، د.ط، د.ن، المركز الجامعي بالوادي، الجزائر، د.ت.

4/المعاجم:

1- ابن السعيد موسى، كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ط2، د.ن، الجزائر، 1982م.

2-الحموي ياقوت، معجم البلدان، تحقيق:فريد عبد العزيز الجندي، ج3، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.

5/الرســـائل الجامعيـــــــــة:

1- بن عون محمد الحاكم، أخبار وأيام وادي ريغ للشيخ محمد الطاهر بن دومة (1336ــ1403هـــ/1918-1982م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، علم المخطوط العربي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة منتوري بقسنطينة، الجزائر، 1431-1432ه/2010-2011م.

2– بن موسى خمرية وصافية خديجة، دور منطقة وادي ريغ في الثورة التحريرية الجزائرية (1954-1962م) مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم التاريخ، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 1428-1429ه/2007-2008م.

3– عمراني معاد، أسرة بني جلاب في منطقة وادي ريغ خلال القرنين 19-20م دراسة سياسية واجتماعية، رسالة لنيل درجة الماجستير، تاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر ،1422-1423ه/2002-2003م.

6/ المقابلات الشخصية:

1- احمد بن السايح مجوجة، مقابلة شخصية، من طرف السيدين شاكو مخلوف وعبد الجواد محمد الطاهر، يوم 1993/12/25م، تقرت .

2- إدريسي الحاج (حفيد سيدي محمد بن يحي) مقابلة شخصية، من طرف عمراني معاد، يوم 5 مارس 2002م، تقرت.

3- التجاني عبد الباسط ، مقابلة شخصية، يوم الخميس 16 فيفري 2012م، تماسين.

4- جلابي زوليخة، مقابلة شخصية، يوم السبت 31 مارس 2012م، تقرت.

5- عباس فطيمة، مقابلة شخصية، يوم الأربعاء 18 افريل2012م، تقرت.

6- قادري عبد الحميد إبراهيم، مقابلة شخصية، يوم الخميس 29 مارس 2012م ، تقرت

7ــ موهوبي عبد القادر، مقابلة شخصية، يوم23 فيفري 2012م.

8- ميهاني مبروكة، مقابلة شخصية، يوم الجمعة 13 أفريل 2012م.

7/الأشرطة والأقراص:

1ــ لجنة الشؤون الاجتماعية والثقافية مع لجنة الحفلات لبلدية تبسبست، مسح جزئي لتراث بلدية تبسبست دائرة تقرت ولاية ورقلة، 29 ديسمبر 1993م.

2ــ ولاية الوادي تقدم روبورتاج لــ نادية زايد ومختار فزولي، شريط وثائقي بعنوان الوادي تراث و حضارة، د.ت.

الفهرسة

مقدمة..... أ – هـ

فصل تمهيدي.....7- 28

1- الإطار الجغرافي لإقليم وادي ريغ.....7

2- لمحة تاريخية عن منطقة وادي ريغ.....19

الفصل الأول: الحياة الاجتماعية في إقليم وادي ريغ.....29-59

1-التركيبة البشرية.....30

1-1 الطبقات الاجتماعية.....33

1-2 النظام الاجتماعي.....35

1-3 بعض صفات سكان وادي ريغ.....36

2-العادات والتقاليد.....39

2-1 المأكل 39

2-2 اللباس.....42

2-3 المناسبات الاجتماعية والطقوس الدينية.....43

3 - البناء العمراني.....54

الفصل الثاني: الحياة الثقافية والعلمية في إقليم وادي ريغ.....60-79

1التعليم.....61

1-1 نظام التعليم ومراحله. 62

2-1 أجور المعلمين.....65

2-مساجد ومشائخ المنطقة.....66

2-1 المساجد.....66

2-2 المشائخ.....70

3-العقائد والمذاهب.....73

3-1 المذاهب.....73

3-2 الزوايا والطرق الصوفية.....73

الفصل الثالث:الحياة الاقتصادية في إقليم وادي ريغ.....80-100

1-الزراعة.....81

1- الصناعة.....86

* -الغزل والنسيج.....86

* -تصنيع سعف النخيل.....88

* -حرفة الحدادة.....89

* -صناعة الفخار.....89

* -صناعة الجلود.....89

3-التجارة في وادي ريغ.....91

3-1 التجارة الداخلية.....94

3-2التجارة الخارجية.....96

خاتمة.....101-105

ملاحق.....106-125

قائمة المصادر والمرجع.....127-133

فهرسة الموضوعات.....134 -136